مقدمة ياولدى

لم أكن أتوقع أن أبدا كتابة هذه الكلمات لك فـــى شـــهر يناير سنة 1957.. أى بعد شهرين فقط من مولدك.. أثنـــاء اعتداء بريطانيا، وفرنسا وإسرائيل، علـــى وطننـــا الحبيـــب مصر ..

وستقرأ يا بنى فى كتب التاريخ عن هذه الحقبة ، ولكننى عشتها لحظة بلحظة وانفعالا بانفعال ، عشتها كما عاشـــها كل مواطن مصرى- وقتذاك- كانت تظللـــه ســـماء مـــصر وترتوى عروقه بماء نيلنا المقدس .. ولن أحـــدثك حـــديث الكتب أو المؤرخين ..وانما سأحدثك حديثا فيه مـــن قلبـــى، وفيه من عقلى، وفيه من وجدانى ..

وكما قلت لك يا بنى .. لم اكن أتوقع أن امسك بقلمـــى لكى اسطر لك هذه الكلمات، وعمرك على الأرض لم يتجاوز الشهرين .. فقد ولدت يا بنى وأنا فى شغل شاغل عن بيتى وأهلى.. لقد كنا نعيشى يا بنى فى تلك الأيـــام مـــن شـــهر نوفمبر سنة 1956 ونحن نخوض معركة الموت والحيـــاة من أجل مصر أمنا . . معركة نسينا فيها الأهل والعيـــال ، نسينا فيها كل شىء ، وتضاءلت، وانمحت من نفوسنا كـــل عاطفة لأهل او ولد الا عاطفة واحدة كانت تشغل كياننا فـــى ليلنا ، ونهارنا ، بأعنف مما يحسه الفرد نحو أهله وولده .. وكانت تلهب عزائمنا للدفاع عما هو أقدس وإجل من الأهل والمال والولد .. وهى مصر..

لقد جاءنى أول خطاب عن قرب قدومك وأنا لاه عنك.

إننى أذكر تلــك الليلة من شهر نوفمبر 1956 .. وكنت كعادتى امضى سحابة النهارفى مبنى مجلس قيادة الثورة .. إلى جوار الرئيس جمال ، مع بقية الزملاء.. حيث كنا نتلقى الأنباء ونضع أنفسنا تحت تصرفه .. وكنت انصرف بعد ذلك إلى مكتبى فى " جريدة الجمهورية " لكى أكتـــب مقـــالى.. وأظل حتى أقرأ أخر برقية من برقيات وكالات الانباء ..

وفى ذلك اليوم ، وعلى خلاف عادتى بقيت فى مبنـــى مجلسى قيادة الثورة . . وكتبت مقالى من هناك .. وأرسلته إلى الجريدة .. وبينما أنا اناقش بعض الزملاء اذ دق جرس التليفون فى غرفة نوم الرئيس جمال .. وكنت أنا المطلوب، وأبلغنى انك فى الطريق الى الدنيا يـــا بنـــى.. وأن والـــدتك تنتظر قدومك بين لحظة وأ خرى ..

وصدقنى يا بني . . أننى نسيت كل ما يتعلق بك بمجرد أن وضعت سماعة التيلفون ، ورحت أكمل حديثى السابق مع الزملاء .. ففد كنا نتناقش فى مختلف الاحتمالات لتـــى قـــد يلجأ إليها الأعداء . بعد أن اتضحت نواياهم الحقيقة . وهى تحطيم مقاومة الشعب المصرى كلية . والقضاء على قواتـــه المسلحة قضاء تاما.. وكانوا قـــد توســـلوا بمـــؤامرة 29 اكتوبر سنة 1956 المشهورة لكى يحققوا هذه الأهداف.

وحين أيقظونى فى الساعة الخامسة من صـــباح اليـــوم التالى لكى ينبئونى بأنك أتيت الى عالمنا ، وأنك ولـــد . لـــم يغير هذا الخبر من الأمر شيئا .. ولو إنه فى ظروف أخرى

كان يمكن إن يكون حدثا خطيرا . فستعلم يابنى ، أننا نحــن الفلاحين نمتبر ولادة الولد انتصرا . . لا لشىء إلا لأنه ولد وليس بنتا . . ولعل هذه العادة مورثة عن أجــدادنا العــرب الذين كانوا يحتفلون بالولد ويتجاهلون البنت .. وقد نشأت فى قريتنا على هذه التقاليد .. ولو أنه قد يكون لى رأى أخر اليوم .. الأ انني كأى فلاح فى قريتنــا . لا أســتطيع إلا أن أحترم تقاليد بيئتنا الساذجة الطيبة .. فهــذه التقاليــد هــى عصارة تجارب الأجيال .. وهــى التــى علمتنــا الــسماحة وغرست فى نفوسنا اليافعــة مبــادىء الخلــق والــشرف والكرامة ..

الا أنه فيما يتعلق بك يا بنى .. فان المسألة فــى نظــر بيئتنا لها أهمية أخرى غير ما تمليه تلك التقاليد . فقد ولدت يا بنى ، بعد أربع بنات .هن اخواتك اللاتى يكبرنك. وخامسة ماتت وهى طفلة ..

فالأمر والحالة هذه كان يوجب الأحتفال بمقدمك يابنى .

ولكننىعلى العكس من ذلك تماما، لم أفعل شيئا أكثر من أن أشكر الطبيب الذى تولى أمرك .. وعدت. إلى ســريرى في جريدة الجمهورية لكى أصيب بعض الراحة لما يأتى بــه الغد .

لم احتفل بك اذن يا بنى.. بل لم افكر لحظة واحدة فــى هذا الأمر.. ولم أحس أبدا بما يحس به كل أب فلاح جــاءه ولد .. ليسىلأن المناسبة كانت لا تستحق الاحتفال، ولــيس

لأننى أسوى فىعاطفتى بين البنت والولد ، ولكن كان إكبر وأجل من كل ذالك. . .

كان هناك أولا أبناؤنا وأطفالنا ، ونـــساؤنا ، الـــذين نفقدهم كل يوم بل كل ساعة فى بورسعيد ، وفى سيناء وفى غزة وفى جميع أنحاء مصر . . بفعل قنابل بريطانيا وفرنسا وأساطيلهما ، مضافا أليها قنابل حلف الاطلنطي وأســـاطيله وعتاده بأكمله :

أنور السادات

الفصل الأول

* **عمك** جمال وأسلحة حلف الاطلنطى

* أقـــدم وثيقـــة لاعـــلان حقـــوق الإنـــسان

عمك جمال واسلحة حلف الاطنطى

حلف الاطلنطى يا بنى .. كان تنظيما أنشأته أمريكـا ، وبريطانيا وفرنسا وجمعوا له دول غرب أوربا لكى يفرضوا حصارا على روسيا ، يكون من شأنه أن يبعث الراحة فـى أعصاب البعض التى تمزقها كلمة الشيوعية ويكون من شأنه أيضا ان تعيش بريطانيا وفرنـسا علـى أمـوال أمريكـا . وصدقاتها، وحمايتها بمد أن خرجت هتـان الـدولتان مـن الحرب الثانية مفلستين وضعيفتين ..

ولقد كان من الممكن أن تعيش بريطانيا وفرنـسا علـى أموال أمريكا وحمايتها عيشة شريفة . ولكن هاتين الدولتين على ماتعودتاعليه ، لن تستطيعا أبدا العيش بشرف.. فانـه ما إن انتهت الـحرب العالمية الثانية حتى راحت بريطانيـا وفرنسا تطبقان أحط أسـاليب الاسـتعمار ضـد الـشعوب الصغيرة بقصد السيطرة علـى مواردهـا وحرمانهـا مـن ممارسة سيادتها.. واستخدمت الدولتان فـى ذلـك دولارات أمريكا وأسلحة أمريكا عن طريق حلف الأطلنظى من جهة .. ومن جهة أخرى استخدمت هاتان الدولتان السارقتان ، اسم أمريكا ونفوذها وتأييدها ، فى المجال الدولى عن طريق هيئة الامم المتحدة ، لكى يجعلا مـن شـريعة الغـاب دسـتورا للمعاملات فى هذا العالم . .

معذرة يا بنى.. ولكننى إريد أن أقول لك أن أسلحة هذ؟ الحلف، وأساطيله، وطائراته، ودباباته ، هى التى كان مقدرا لها ان تفتك بقوات مصر المسلحة تحت ستار إسرائيل لولا،

يقظة جمال عبد الناصر الذى أصدر أوامره بسحب قواتنا من سيناء ، وتوحيد الجبهة فى اللحظة الحاسمة ..

اسلحة حلف الأحنلنطى هذه هى التى جاءت الى مــصر لكى تخلع عمك جمال عبد الناصر.. وتقضىعلى الثــورة .. لكى تعود مصر من جديد مستعمرة ليس لبريطانيا وحــدها، هذه المرة ، وانما لبريطانيا وفرنسا واسرائيل . .

أسلحة حلف الأطلنطى هذه .. هى التى جاءت الى مصر لكى تقضى على القرمية العربية ، وزحفها الصاعد المقــدس .. فزعماء الغرب لم يكفهم أن يحصلوا على البتــرول ، ولا ان يستخدموا قناة السويس فى حرية وأمن . وانما هم يريدون أن يستعبدونا ويذلوا رقابنا ، ويحصلوا ايضا على البتــرول، ويملكوا القناة ويقضو إلى الأبد على كل وعلا ، أو حريـــة . أو استقلال ، فى دنيــا العــرب وفــى مــصر علــى وجــه الخصوص. . .

وكانت هناك ثانيه معركة التحرر للــشعوب الــصغيرة ، التى كتب علينا فى لــوح القــدر ان نخوضــها نحــن فــى مصرعلى الخصوص ..

وتاريخ هذه المعركة فى مصر يا بنى قديم ومجيد .. بدأ قبل أن أولد، وقبل أن يولد جدك : بل قبل أن يولد جد جدك...

تاريخ طويل كتبه أبائنا واجدادنا بدمائهم عبــر القــرون .. وكان كل جيل يسلم الأمانة الى الجيل الذى يليــه، وتــصميم

شعبنا فى كل مرحلة صلب لا يلين.. ان كل معركة خاضـــها شعبن ، كانت تزيده تصميما على تــصميمه.. وكــل دمـــاء سالت من الأحرار على أرضنا ، كانت تغذى شجرة الحريـــة التى تمد ظلالها اليوم علىوادينا الأخضر من اقــصاه إلـــى أقصاه ..

لم يستسلم شعبا إبدا يا بنى للغزو الأجنبى ، ولا للطفيان .. وحين كان يغلب هذا الشعب على أمره من قوى متفوقة عليه ، كان يعمد من فوره الى المقاومة الشعبية فى تصميم واصرار، حتى ينتصر نى آخر الأمر على أعدائه ..

وكما كانت لشعبنا فى الماض السحيق حضارة ومدنيه ، تنطق الى يومنا هذا بأروع انتصارات بناءة فـــى العلـــوم ، والفنون ، الهندسة، والبناء ، والطـــب ، والفلـــك .. فـــان تاريخنا فى ماضينا القريب يسجل لهذا الشعب سجلا حـــافلا بالكفاح من أجل القيم البشرية التى يظن البعض فى الغـــرب بأنهم حماتها ، وهم الذين داسوهافى الماضى ، ويدوسونها كال يوم فى وقاحة، وبلا أدنى خجل او حياء ..

أ قدم وثيقة لإعلان حقوق الإنسان

ففى سنه 1795 الميلادية إى منذ مائة وستين عاما من يومناهذا ، حين كانت دول كثيرة من التى تطلق على نفسها دولا كبرى أو عظمى اليوم ، لا تزال شعوبها تجهل القيم الحضارية والحقوق الأساسية للانسان ، كان الشعب المصرى يفرض أرادته على حكامه ، فى وثيقة أجمع المؤرخون المصريون والأجانب على انها بحق ، وثيقة اعلان حقوق الإنسان ..

فى سنة 1795 قرر الشعب المصرى ما يأتى : ــ

1 ــ إلا تفرض ضريبة إلا اذا أقرها مندوبوا الشعب . .

2 ــ أن ينزل الحكام على مقتضى أحكام المحاكم .

3 ــ أن لا تمتد يد ذى سلطان إلى أى فرد من أفراد الأمة إلا بالحق والشرع ...

وذهب الشعب الى إبعد من ذلك فاجبر حكامه فى ذلك الوقت على الإعتراف ف هذه الوثيقة بخطئهم وإنهم " تابوا ورجعوا . . "

واليك يابنى القصة كما يرويها الشيخ عبد الرحمن الجبرتى المؤرخ المصرى الكبير:

" فى أوائل شهر ذى الحجة من عام 1209هجرية (1795 ميلادية) جاء رجال من بلبيس الى المشايخ فى الأزهر يشكون الظلم ، وتقابلوا مع الشيخ الشرقاوى يعلنون سخطهم عن الضرائب الباهظة، والاستبداد الجاهل. واستشعر الشيخ الشرقاوى أن الشعب جاد فى سخطه كل الجد ، وأن النفوس تغلى غليانا مكبوتا لا تؤمن نتائجه ..

واستشعر فى نفسه تلكم المسئولية الدينية ، والوطنية اللتين اشتهر بهما رجال الدين فى ذلك العهد فلم يحول ان يهدىء من نفوس هؤلاء الثائرين ، ولم يحاول أن يقول لهـم أنهـم أولوا الأمر، لم يثبط ارادتهم .. وأنما اشعل جذوتهم، وأحسن توجيههم . .

غضب الشيخ لكرامة الشعب.. فتوجه الى الأزهر، وجمع المشايخ ، وقفلوا ، أبواب الجامع ، وأمروا النـاس بتـرك الأسواق والجوامع والمتاجر .. وركب الشيخ فى اليوم التالى وخلفه خلق كثير ، الى منزل الشيخ السادات .. وكان منزله قريبا من منزل أبراهيم بك شيخ البلد ، الذى لم يلبث حـين رأى هذا التجمع أن أرسل مندوبا عنه ـ هـو أيـوب بـك الدفتردار إلى العلماء ، وهم قادة هـذا الجمـع الـشعبى .. ووقف المندوب بين أيديهم يسألهم عن مرادهم فقالوا :

نريد العدل الذى لا تقوم حياة بدونه..

وابطال الحو ادث ، و المكو سات.

ونريد رفع الظلم الذى هو أساس الهوى الى الحضيض . .

ونريد ازالة الجور لأن الجور مرتعه وخيم ..

نريد أقامة الشرع لأنه شرع الله وقد أمنا به ..

ونريد أبطال الحوادث واقرار الأمن . .

كما نريد رفع المكوسات .. لأن الضريبة بغير أسـتئذان الشعب، لا يمكن ان تكون شرعية ولا مقبرلة بحال . .

وكانت ملحمه كلامية بين العلماء ومندوب إبراهيم بك شيخ البند.. قال العلماء فيها كلمة الحق .. لأن الخوف مـن غير الله شرك جزاؤه الخلود فى النار..

قالوا له " ان الضرائب لا تحتمل "..

وقال الدفنردار : " ان النفقات باهظة " .

قال العلماء: " وما الباعث على الاكثار من النفقات، والأمير يكون أمير بالعطاء لا بالأخذ ؟ "

وبلغ الأمر غايته. .

وخشى ابراهيم ومراد حكام مصر وقتذاك مغبة الثورة . . فأرسلوا يسترضون العلماء ويستجيبون لمطالبهم ..

واجتمع الأمراء فى اليرم الثانى . . وأرسلوا الى العلماء يرجون حضورهم .. وكان ذلك فى منزله ابراهيم بلث.. فحضر منهم الشيخ السادات ، والسيد عمر مكرم ، والشيخ الشرقاوى ، والشيخ البكرى ، والشيخ الامير، وكانوا جميما من رسل الثورة وقوادها الظاهرين . . وطال الجدل بين الشيخ والأمراء مرة أخرى ..

احتدم النقاش بين الشمب وحاكميه. . بين. شعب أعزل الا من الأيمان ، والتصميم.. وبين حاكم مسلح تعود الطغيان . .

وأعلن الحاكمون أنهم " تابوا ورجعوا " .. وأنهم "سيشدون على أيدى أتباعهم ، ليكفوا عن سلب أموال الناس " والأهم من كل ذلك ان قاضى القضاة كان موجودا فى هذا المجلس ..، وأن وثيقة رسمية سجلت على الأمراء أمضاها الوالى العثمانى ، وأمضاها ابراهيم ومراد .

كان تسجيل هذه الحقوق فى حد ذاته معنى من أخطر المعانى فحقوق الشعب حقوق مشروعة .. ومطالبه مؤيدة وقاضى قضاة البلد مختص بتسجيل هذه المطالب .. ودمغ هذا الصك بالدمغة الرسمية والشرعية، وهى وثيقة لحقوق الإنسان كأقدم ما تكون الوثائق ، أعلنها شعب مصر منذ

مائة وستين عاما ، ليفهما لناس عن هذا الشعب غير الذى يحاول المستعمون واذنابهم إن يبقوه فى الأذهان ، وليدرك العالم أن مصر العظيمة فى القديم ، كانت هى هى مصر البارة بالإنسانية ، والحريصة على كرامة الفرد ، فى تاريخها الحديث . .

!ت سطور هذه القصة الساذجة لتعكس يا بنى روح شعب مصر الوادع الصبور ، المكافح .. وتعكس فى نفس الوقت مدى فهمه منذ القدم للمعانى ، والقيم الإنسانية ..

فمبدأ عدم فرض الضريبة الا إذا أقرها مندوبى الشعوب ، وهو الذى نادى به شعب مصرعام1795 وأرغم حكامه على التسليم به ، هو إروع دليل على ما لشعب مصر من وعى ديمقراطى أصيل منذ القدم .. وعى ليس مفتعلا ولا مدسوسا ، أنما هو وعى من صميم البيئة المصرية التى ورثت على مر الأجيال والسنين ، تقاليد حضارات مجيدة .. كانت كلها حضارات علم وبناء وعمران . .

وانظر يا بنى الى الحوار الذى حوته هذه القصة ، والذى دار بين ممثلى الشعب وممثلى شيخ البلد الحاكم .. ان الثورة الفرنسية كلها لتتضاءل أمام المغزى العميق لهذا الحوار.. فلقد أسفرت الثورة الفرنسية عن مبادىء ثلاثة هى ، الحرية والاخاء والمساواة ، لم تلبث أن أصبحت فى فرنسا ذاتها وأثناء الثورة الفرنسية نفسها شعارا للقتل والتدمير بين الفرنسيين الثوار أنفسهم .. ثم ما لبثت هذه المبادىء، ان صدرتها فرنسا الى الخارج على صورة استعمار خبيث يفتك بالشعوب البريئة ، ويسلبها إرزاقها .. ويقتل النساء ، ويفتك بالاطفال ، ويغتصب الأرض ، ويجعل من الانسان

شيئا أحط من الحيوان .. كل هذا باسم الحرية والاخاء والمساواة ..

قارن هذا يا بنى بوقفة شعب مصر عام **1795** وهو يقررفى الحوار البسيط، أخطر وأعظم المبادىء التى تحفظ لهذه البشرية قيمتها ، وللإنسان حقوقه وكرامته ..

ان العدالة الاجتماعية التى لم يعرفها العالم الا حديثا ، قررها شعب مصرفى حواره الساذج مع حكامه ، حين اشتكى ممثلو الشعب من فداحة الضرائب .. فرد الدفتردار ان النفقات باهظة .. فكان رد الشعب :

((وما الباعث على الأكثار من النفقات والأمير يكون أميرا بالعطاء لا بالأخذ))

أتعرف يا بنى ماذا تحويه هذه العبارة الهادئة المرسلة فى غير تكلف ولا غرور . . ؟

أنها تعنى أن الأمير أى الحاكم فرض عليه أن يرفع عن كاهل رعيته الأعباء .. فلا يكلفها من النفقات الباهظة ما لا تطيق.... وأن الحاكم لا يستحق تأييد شعبه ، الا اذا كانت سياسته هى العطاء أى توفير الحياة الكريمة لجميع افراد هذا الشعب باعطائهم حقوقهم ، وأعطائهم فرصا متكافئة فى الحياة . . . واعطاء الشعب نصيبه العادل فى أمواله وميزانيته.. فلا يستأثر لنفسه ، ولا لحاشيته ولا لفئة دون فئة بما يكون ملكا لهذا الشعب .

وهل تكون العدالة الاجتماعية غير هذا المعنى..؟ أو هل تفسر العدالة الاجتماعية بغير هذا التفسير.. ؟

معذرة يا بنى فقد اكون قد أطلت عليك.. ولكلننى كان لا بد لى أن اذكر لك شيئا عن تاريخ بلادك التى قدر لها أن تحمل عبء معركة التحرير عن الشعوب الصغيرة فى أيامنا هذه ..

واردت أن أربط ماضينا بحاضرنا ، قبل أن اروى لك عن المعركة التى شغلتنى عنك ، وألهتنى عن قدومك ..

فكما قلت لك يا بنى.. كتب علينا لوح القدر أن نخوض نحن فى محسر معركة التحرر باسم جميع الشعوب الصغيرة .. ومن سخرية القدر أيضا، ان بعض حكام هــذه الــشعوب الصغيرة لا يجهل هذه المعركة فحسب ، وانما هم يحــاولون تضليل شعربهم فى هذه المعركة الفاصلة فى تاريخ البشرية ، ومع ذلك فنحن مصرون علي تحقيق أهدافنا لا من أجــل الشعب المصرى وأمتنا العربية فقط وأنما من أجل الــشعوب الصغيرة المغلوبة التى تؤمن بالمثل التى نؤمن بها، المثــل التى حارب من أجلها؟ أباؤنا وأجدادنا ، فى تصميم وايمان .

إننا نخوض هذه المعركة منذ طفولتنا يا بنى ، ولا تعجب لقولى ، فقد نشأنا فى جيل كان كــل مــا يحــيط بــه هــو المتناقضات.

والسنين التى عشتها فى القرية قبل ان أنتقل الى المدينة يا بنى، ســتظل بخواطرهــا وذكرياتهــا زادا يمــلأ نفــسى ووجدانى بالصفاء والايمان ، فهناك تلقيت يابنى اول دروس فى هذه الحياة ..

تعلتها على يد الأرض الطيبة السمحة ، التــى لا تبخــل على الناس بالزرع والثمر ...

وتعلمتها من سماء قريتنا الصافية المشرقة ..

تعلمتها فى ظل الجميزة الخــضراء الــصامدة ، وعلــى إغصان الصفصافة الخجول الوديعة ..

تعلمتها على حافة الجدول الصغير الذى ينقل إلى الحقول ترياق الحياة فى رضى وقناعة ..

تعلمتها فى ظلال الأمسيات البر يئة مـــع زملائـــى مـــن شباب القرية ، ونحن نلعب تحت ضوء القمر فـــى شـــوارع القرية الساكنة الهاجعة ..

وتعلمتها أيضا على أستاذى الحبيب .. جدتى . . .

الفصل الثانى

* ساحكى لك عن جدتى
* نفس الهدف
* الماضى يعود

سأحكىلك عن جدتى

إن إول ما تفتحت عليه عيناى يا ينى فى بلدتنا .. هو ذلك الحديث الهامس ، الذى كانت تحكيه لــى جــدتى ــ لوالدى ــ كل ليلة قبل النوم .. وهو الحديث الــذى كنــت أعيش عليه طوال يومى ، فى انتظار قدوم الليل ..

وقبل أن احكى لك عن احاديث جدتى .. أريد إن أحكــى لك عن جدتى نفسها يا بنى .. وهى تلك التى علمتنــى كــل شىء .. ولم تبخل على عقلى وروحى بأى شىء ..

فقد تركنى والدى أنا وأخى الاكبر، فى رعاية جــدتى .. لأنه كان يعمل موظفا بالسودان .. وكاتت جدتى رحمها الله ، لا تتولى أمرى أنا واخى فقط ، وأنما كانت أيضا تقوم علــى امر العائلة بأكملها .. وعلى زراعة المساحة الصغيرة مــن الأرض التى تمتلكها العائلة ..

ولقد كانت رحمها الله ، أمية لا تقرأ ولا تكتب .. ومــع ذلك فقد كانت ذات فطرة واعية ، وذكاء وشخــصية ، قلمــا يجدها الانسان اليوم فيمن تعلموا ، وتثقفوا أحسن الثقافات..

لقد كانت الحياة هى المدرسة التى تلقت عليهــا جــدتى الثقافة .. لذلك كانت تصرفاتها سديدة . . فلا عجب أن كنت أرى الرجال يقصدونها للنصيحة والرأى . وهى فى كل مــا تشير أو تنصح رزينة الحجة ، ثاقبة البصر.. تعرف للــنفس البشرية ضعفها، وتلتمس الخير والوفاق فى حماس يــدخل الدفء الى قلوب أهل القرية السذج الطيبين . .

وأحاديثها لم تكن للتسلية فقط يا بنى . . وأنما كانت دروسا وعبرا .

كان الناس مفتونين بعرابى

أول ما حدثتنى يا بنى .. كان ذلك عن عمها الذى كان ضابطا فى الجيش المصرى ، أيام ثورة عرابى سنة1882 التى انتهت بالاحتلال البريطانى لمصر فى تلك السنة..

اننى أذكر كيف كانت تحكى لى ، وفى عينيها بريق وحماس عجيبان..

فقد فوجئت القرية الوادعة فى يوم بدخول فارس على . جواده ، يركض فى سرعة رهيبة، تم لم يلبث أن أحتوته القرية..

وكان الناس وقتذاك مفتونين بعرابى . . ذلك الضابط المصرى الفلاح ، الذى تحدى الخديو التركى ، من أجل الضباط المصريين .. ثم من اجل اقامة حياة ديمقراطية، يتولى فيها الشعب أموره بنفسه . . وكانت دعواتهم له بالنجاح حارة.. ومن كل قلوبهم خاصة . . وأنهم عرفوا أن الخديو الخائن قد استنجد بالانجليز الأجانب ..

وحين دخل هذا الفارس فى سرعته الرهيبة.. اندفمت الجموع من خلفه... خاصة وأنه كان يرتدى ملابس الضباط.

من هو الفارس؟

وكانوا جميعا فى شوق الى سماع . الأنباء عن جيشهم الذى يحارب من اجلهم .. وعن عرابى بطلهم . وأخذوا يندفمون من شارع إلى عطفة ، ومن عطفة الى

حارة ، وراء ذلك الفارس الجامح .. وفى كل لحظة ، ينضم اليهم فوج جديد بحماس جديد . إلى أن فوجىء هذا الجمع بالحصان والفارس وقد سقطا على الأرض فى منعطف ضيق .. وكان الحصان من فرط لهثه وتعبه ، يرقد ممددا على الأرض ... والفارس ملقى إلى جواره ، ودماؤه تنزف بغزارة.

وعلى الفور تعرف الناس على الضابط الفارس .. وهوأبن بلدهم .. وقد كان على قيد خطوات من منزله.. فنقلوه اليه..

أما الحصان فانه لم يلبث أن مات بعد دقائق قليلة ..

كان الفارس كما روت جدتى .. هو عمها .. الذى كان يعمل ضابط فى سلاح الفرسان فى الجيش المصرى . .

وقد روى للأهل والأصدقاء قصته ، بمد ان ضمدوا له جراحه ورشوا وجهه بالماء ..

وكانت قصته . . هى قصة الجيش المصرى الذى قاتل

فى الاسكندرية ، وكفر الدوار: سنة 1882 بقيادة عرابى . . وصد الغزاة الانجليز .. وعندئذ تحرلوا الى قناة السويس، فدخلوا منها بالتأمر مع ديلسبس .. وتسللوا بالخيانة والغدر إلى مصر، فى الوقت الذى كان ديلسبس يظمئن فيه عرابى بأن القناة لن تستخدم فى غزو مصر.. مما جعل عرابى يعدل عن تعطيلها: أحتراما منه لكلمة ذلك الأفاق . .

ومن سخريه القدر يا بنى.. أن نفس المشهد يتكرر بعد مرور أربع وسبعين سنة .

فان الاحتلال البريطانى الذى بدأ سنة 1882 كــان قــد أنتهى على يد ثورة 23 يوليو سنة 1952 باتفاقية الجــلاء التى وقعت فى 19 من أكتوبر سنة 1954 وانتهى جلاء آخر جندى بريطانى عن اراضينا يوم 18 من يونيو سنة 1956 ، لكن لم تمضى ثلاثة أشهر على تحرير ارضنا، حتى بــدأت إسرائيل فى 29 من أكتوبر سنة 1956عدوانها على مصر، بالأشتراك مع بريطانيا وفرنسا ، اللتين لم تلبثــا ان بــداتا دورهما فى المؤامرة الدنيئة يوم 31 من اكتوبر سنة 1956 . .

قصة إنذارين رفضنهما :

ففى سنة 1882 اتفقت بريطانيا وفرئسا علـــى غــزو مصر وأبحرت الأساطيل البريطانية والفرنــسيه فعــلا الـــى مصر . ولكن بريطانيا على غير مألوف عادتها فى المكــر والخيانة استطاعت. أن تقنع الاساطيل الفرنسية بــالعودة ، لكى تنفرد بريطانيا بالفريــسة .. وفعــلا عــادت المراكــب الفرنسية من عرض البحر المتوسط .. وجــاءت المراكــب الانجليزية وحدها الى الاسكندرية ..

وقصة الانذار الفاجر الذى أرسلته فرنسا وبريطائيا الـــى ، مصر يوم 30 من أكتوبو سنة 1956 والذى وصفه عضو من أعضاء مجلس العموم البريطانى بأنه " عمل قذر " ، هى نفس قصة الأنذار الذى أرسل الى قيادة الجيش المــصرى سنة 1882من الأسطول البريطانى المعتدى ، الذى كان يقف فى مياه الإسكندرية....

ففى سنة 1882 طلب الانجليز فى انذارهم نزع سلاح الطوابى التى كانت تحمى الاسكندرية .. والسماح لهم باحتلال المدينة..

وفى سنة 1956 طلب الإنجليز فى انذارهم ، السماح لهم باحتلال بورسعيد ، والاسماعيلية ، والسويس .. وأشركوا معهم اسرائيل فى احتلال سيناء المصرية ..

وفى سنة 1882 رفضت قيادة الجيش المصرى الانذار.. وبدأ القتال ..

وفى سنة 1956 رفض الرئيسى جمال عبد الناصر الإنذار . . وأعلن أن مصر ستحارب الى آخر قطرة من دمائها..

نفس الهدف

وفى سنة 1882 كان هدف بريطانيا ، هوالسيطرة عئى مصر من أجل الاحتفاظ بقناة السويس .

ومن أجل الاحتفاظ بالمركز الاستراتيجى الخطير الذى تقوم فيه مصر من هذا العالم . .

ومن أجل تثبيت دعائم الاستعمار البريطانى فى أفريقيا وآسيا، وتأمين عملية امتصاص دماء الشعوب، لكى يبنى المجتمع البريطانى .. وينعم البريطانون فى جزيرتهم بالملذات والسيجار ..

وفى سنة 1956 كان هدف بريطانيا، هو السيطرة على مصر . .

من أجل إعادة سيطرنها على قناة السويس ..

ومن أجل الاحتفاظ بالمركز الاستراتيجى الخطير الذى تقوم فيه مصر من هذا العالم ..

ومن أجل تثبيت دعائم الاستعمار البريطانى الذى أخذ ينهار بسرعة فى آسيا وافريقيا ، وإعادة السيطرة على العرب الذين بعثت قوميتهم العربية فجأة كالمارد الجبار ، وأصبحوا يكرهون ويحتقرون بريطانيا وهيبتها المزعومة ..

ومن أجل محاولة امتصاص دماء الشعوب .. من جديد، بعد أن تنبهت هذه الشعوب ... وأصبح الشعب البريطاتنى مهددا بالحرمان من الملذات والسيجار . . .

أن ذلك هو الاساس فى المعركتين من وجهة نظر بريطانيا يا بنى . . فالأصل واحد . . وهو الاستعمار الكريه المسعور . .

أما من وجهة مصر فأن الأمر فى سنة 1956 كان يختلف تمام الاختلاف عن سنة 1882 .

ففى سنة 1882 كان يحكم مصر الخديو توفيق بن عباس وكان هذا الرجل يتصف بالجبن والتردد، فضلا عن كونه أجنبيا عن مصر(تركى) وعميلا لفرنسا وبريطانيا.. فقد أجبرت بريطانيا أباه أسماعيل على التنازل عن العرش ، والرحيل عن مصر حيث استقر فى ايطاليا الى أن مات بها ، وجائوا بهذه الدمية " توفيق " فنصبوه خديويا على مصر لكى يأتمر بأمرهم و ينفذ مشيئتهم.

وقد أجمع المؤرخون على ضــعف شخــصية توفيــق، وتخاذله وارتمائه فى احضان بريطانيا وفرنــسا ، مــن أول لحظة لدرجة إنه كان لا يبرم أمــرا مــن أمــور الدولــة الا والقنصلان الفرنسى والبريطانى عن يمينه وعن شماله.

وعندما اقتحم عرابى باسم الجــيش المــصرى ســراى عابدين سنة 1882 لكى يقــدم طلبــات الجــيش المــصرى والشعب ، وجد الى جانب الخديو القنص البريطــانى ســير ادوارد ماليت . وسجلت الى يومنا هذا صورة عرابى وهــو يناقش الخديو وإلى جانبه القنصل البريطانى .

عمك المصرى العر بى

أما فى سنة 1956 فأنه يحكم مصر يا بنى عمك جمال عبد الناصر .. وهو المصرى العربى . .

فهو من اسيوط فى صعيد مصر ومن قبيلة " بنى مــر " العربية وقد تكون لحمه هو واجداده مــن تــراب مــصر، وأمتلات عروقه بالدماء الحارة من نيل مصر ..

وجمال عبد الناصر ، عمك يا بنى الذى ســميتك عنــى اسمه ، وصديقى ، ورئيسى ، الذى أحبه واحترمه منذ ؟ أن كنا ضابطتين صغيرين فى منقباد سنة 1938 .

عمك جمال هذا يا بنى ، يمتاز بالاقدام ، والايمان بمصر ، واستقلالها ، وكرامتها ايمانا صلبا عنيدا ، كنت.ألمسه منذ حداثتنا فى معاملته لنا نحن أصدقاءه ، وفى معاملته أيــضا

للضابط العظام الذين كانوا رؤساءنا .. وفى معاملته لأفـــراد البعثة البريطانية التى كانت مفروضة على جيشنا . .

الفلاحون العبيد

وفى سنة 1882 كان الشعب المصرى يعانى من الخونة المأجورين ، فقد كان هناك فى الجـــيش ضـــباط أتـــراك وأرناءوط لا يحسون باحساس مصر، بل يعتبرون انفـــسهم من طينة الخديويين و الحكام .. اما الشعب فكانوا يـــصفرنه بالفلاحين عبيدهم.. وقد كانوا يطلقرن على عرابى " الفلاح " لأنه مصرى . ولم تكن مناصب القيادة مـــن حـــق الـــضباط المصريين ، ولا كان من حقهم أيضا الحصول على رواتـــب مثل غيرهم من الضباط الأجانب .

أما من ناحية الشعب، فقد كانت المناصب والحكم وقفـــا على الأتراك والأجانب من دون المصريين " الفلاحين " وكان السياسيون الذين يتقلدون المناصب ، من هـــولاء الخونـــة الاجانب عن الشعب .. أما أبناء البلاد ، فلم يكن لهم صوت أو نصيب فى أمرر بلادهم .

وحين قررت انجمعية التشريعية المـــصرية أن تمـــارس سلطاتها كاملة باسم الشعب فى الرقابة على الحكومة ، والميزانيـــة ومقاومة التدخل الاجنبى من فرنسا وبريطانيا الذى كان يتمثـــل فـــى اشراف ثنائى على مالية مصر كـــان هوالخطـــوة الأولـــى لفـــرض استعمارها ، اوعز قنصلا فرنسا وبريطانيا إلـــى الخـــديو توفيـــق " الدمية " بتعطيل هذه ا!جمعية وإلغائها .. تم تلا ذلـــك الـــضدخا! ا احس!س لى سنة 1882.

وبريطانيا وفرنسا هما أصمحاب نظرية الديموقراطيـــة ومـــن أقطاب ما يسمى بالعالم الحر .

أما فى سنة 1956 فان الشعب المصرى لم يكن من بينه خائن ولا عميل ..

فانه بعد قيام ثورة 23 يوليو سـنة 1952 تطهـرت الحياة السياسية من الزعماء والاحزاب الـذين نـشأوا فـى أحضان الاحتلاد البريطانى .. وبعد تـلاث سـنوات تمكنـت الثورة من تحقيق المبدأين الاول والثانى لها وهما :

ـ القضاء على الاستعمار واعوانه من الخونة..

ـ القضاء على الاقطاع .

ولقد.تم القضاء على الاقطاع بعد أن أنهت الثورة حكـم أسرة محمد على وأعلنت الجمهورية..

وتم القضاء على الخونة بعد أن قضت ا الثـورة علـى الاقطاع وعندئذ سهل القضاء على الأستعمار الاجنبى بعد أن فقد أعوانه من الخونة داخل البلاد ، ومن الحكام من أسـرة محمد على الاجنبية وبطانتهم وأتباعهم . .

أن الاستعمار لا يعيش أبـدا يـابنى إلا علـى الخيانـة والاقطاع ، والحكام الذين يبيعون أنفـسهم وبلادهـم لقـاء المنفعة والجاه والسلطان .

الأيدى الإجنبية العابثة

وفى سنة 1882 كانت مصائر شعبنا فى أيـد أجنبيـة تعبث بها كيف تشاء .

فمن الوجهة القانونية كانت مصر ولاية عثمانية تتمتـع بنوع من الأستقلال الذاتى ولكن الواقع كان أسوأ من ذلـك بكثير فشعبنا فى صراع مع الطغاة والمستعمرين والطامعين، منذ فجر التاريخ . ..

ان المركة التى انتهت فى بورسعيد بهزيمه فرنسا وبريطانيا محركة يرجع تاريخها الى نهاية القرن الثامن عشر حين جاءت فرنسا سنة 1798 تغزو مصر فقد كانت أحلام السيطرة على مصر مفتاح الشرق صاحب الكنوز والخيرات تداعب نابليرن الذى لم يلبث ان أغار على مصر.

أما بريطانيا .

.فقد جات تغزو مصر سنة.1956 بقصد الاستيلاء عليها لتحقيق الاغراض التى كانت تريدها فى سنة 1807، وسنة 1882، وهى تثبيت استعمارها الجشع ، وتأمين عملية امتصاص دماء الشعوب .

وقد كانت مصر فى القرنين الثامن والتاسع عشر ولاية عثمانية تابعة للامبراطروية التركية ، ولكن هذا لم يكن ليمنع فرنسا ولا بريطانيا من انتهاز كل فرصة للسيطرة على مصر، بل ان تبعية مصر للامبراطورية العثمانية ، كانت تسهل لهما دائما تحقيق الاطماع فى السلم والحرب على السواء ..

الماضى يعود

وكأنما يعيد التاريخ نفسه يابنى سنة 1956 ، فان الاساطيل الفرنسية البريطانية التى أغارت على بورسعيد ، كانت تحتمى فى الموانى التركية ، لكى تتجنب عيوننا التى كانت مفتحة على قبرص حيث كانت توجد قواعدهم .. تماما كما كانت تحتمى بريطانيا بالخليفة العثمانى لكى يصدر لها الاوامر الى مصر بتنفيذ كل ما تريده هى وفرنسا .

بل وأكثر من ذلك ، فان بلاط الخليفة العثمانى صاحب الولاية على مصير شعب مصر كان يخضع تماما لاوامر

بريطانيا وفرنسا ومشورتيهما فى كل ما يتعلق بمصر. وكانت ولاية هذا الخليفة على مصر أسمية فقط ..

أما الحقيقة فكانت هى أن مصير شعب مصر، كان دائما رهنا لأشارة ونصائح بريطانيا وفرنسا .

والامثلة على ذلك كثيرة ومتعددة عبر التاريخ ..

وكانت بريطانيا وفرنسا تلجأن فقط الى استعمال القوة مجتمعتين اذا كانت مشورتهما لا يؤخذ بها، أو يفقدان سيطرتهعا على مصر من خلال الخليفة العثمانى، كما حدث فى موقعة نفارين .. وفى سنة 1882 حينما ارسلت الدولتان أساطيلهما تخلف الاسطول الفرنسى من عرض الطريق، وكمل الاسطول الانجليزى المهمة لحساب بريطانيا..

اما فى الحالات التى كانت تلجأ كل دولة منهما الى استعمال القوة منفردة بقصد السيطرة على مصر كما حدث فى سنة 1798 بالنسبة لفرنسا ، وسنة 1807 بالنسبة لبريطانيا، فقد كان ذلك يحدث دائما نتيجة لخلاف بين الدولتين وتعارض بين أطماعهما ..

دور تركيا لم يتغير

تخرج من هذا يا بنى الى أن أطماع بريطانيا وفرنسا فى مصر قديمة وعميقة ولم يكن يحد منها أو يوقفها تبعية مصر للأمبراطورية العثمانية . . بل على العكس من ذلك ،

كانت هذه التبعية مما يمكن للدولتين احكام سيطرتهما علـــى مصر .

فاذا اتفقت الدولتان عملتا مجتمعتين ضد مصر..

واذا اختلفت الدولتان عملتا كل على حـــدة أيــضا ضـــد مصر. .

ودور تركيا فى كل الحالات ، وخلالى القرنين الثـــامن عشر والتاسع عشر، هو نفس دورها فى ســنة 1956 فـــى خدمة الدولتين المستعمرتين ، وخدمـــة الاســتعمار بــصفة عامة.

عملية الافقار

بل ان الامر تطور إلى ما هو أشد بشاعة من ذلك فأن فرنسا وبريطانيا فرضتا علنا سيطرتهما على مصر فـــى النـــصف الثانى من القرن التاسع عشر بحجة الدين الذى اقرضـــوه . للخديو اسماعيل، وكانوا ا يستغلون فى ذلك سفه ذلك الخديو وأستهتاره . فأوعزوا الى المرابين من فرنـــسا وبريطانيـــا باقراضه ؟ المال بالفوائد الجسيمة ، حسب خطة منظمـــة ، انتهت بأن أفلست الخزانة المصرية .

ففرضت الدولتان سيطرتهما عن طريق ماسمى بصندوق الدين الذى كانت له الولاية ليس على مالية مصر وحـــدها، وانما على مصير الشعب المـــصرى سياســـيا وأقتـــصاديا، واجتماعيا ..

وبدأت منذ ذلك الوقت عملية افقار هذا الشعب وتأخيره ومنعه من العلم رالتقدم ، على يد بريطانيا وفرنسا بعـــد أن كانت تتم قبل ذلك على يد تركيا العثمانية .

وهكذا كانت مصائر الشعب المـصرى ملكـا للعـابثين الاجانب فى فرنسا وبريطانيا ، وحليفتهما تركيا سنة 1882.

تغير الحال

أما فى سنة 1956 فان الحال بالنسبة لمصر كان قـد تغير على صورة حاسمة لـم يحـاول أن يفهمهـا أولئـك المستعمرون فقد اخفى الجشع والغدر الحقائق عنهم .

فمصائر شعب مصر لم تعد فى يد بريطانيا وفرنـسا ولا تركيا.. ولا الثلاثة مجتمعين، وانما عادت لـصاحبها شـعب مصر ...

فانه بعد قيام ثورة 23 يوليو سـنة1952 تغيـر وجـه التاريخ الى الأبد بارادة الشعب، ونظرة واحدة الى مبادىء الثورة يا بنى التى نبتت من صميم قلب كل مـصرى ، بعـد ذلك التاريخ الطويل من المظالم والسيطرة الأجنبية ، تعطيك الفكرة الصحيحة عما حدث فى مصر يابنى... وكيف عـادت السيادة على مصر الى يد شعب مصر..

أن هذه المبادىء التى سجلها الشعب فى دستوره الـذى أصدره فى 16 يناير سنة 1956 هى:

1 ــ القضاء على الاستعمار وأعوانه من الخونة ..

2 ــ القضاء على الاقطاع .

3 ــ القضاء على سيطرة رأس المال على الحكم .

4 ــ تطبيق العدالة الاجتماعية .

5 ــ أقامة جيش وطنى قوى .

6 ــ اقامة حياه ديموقراطية سليمة .

وهكذا حدد الشعب المصرى أهدافه يـا ينـى .. وبـدأ ممركته ضد أعدائه فى أيمان ، وتصميم ، وعنف. ولم تمض

سنوات ثلاث ، حتى كانت الإنتصارات تتحقق لهذا الـــشعب، وحتى أخذت عجلة الثورة تطحن فى طريقها كل العقبات ..

ولم يكن الطريق سهلا ولا ممهدا يا بنى ..

فاننا لم نكن نواجه العقبات فقط من الرجعيين وأنصار الحكم الفاسد ...

وانما واجهناها أيضا من داخل الثورة نفسها . . حينمـــا خرج على مبادئها الجنرال محمد نجيب . . وهو الرجل الذى اخترناه أول الامر لقيادتها .. ففضل ان يتعامل مع الرجعيين أعداء الثورة .. وكادت المسألة تنتهى بكارثة ، لولا يقظـــة عمك جمال عبد الناصر ..

وعمك جمال . . هو الذى إصر بادىء الأمـــر علـــى ان يتنازل عن قيادة الثورة لمحمد نجيب .. برغم أن عمك جمال كان منتخبا رئيسا لمجلس قيادة الثورة ، باجمـــاع أصـــوات أعضاء مجلس الثورة ، من قبل أن تبدأ الثورة .. ومن بعد أن قامت ، وسأحكى لك القصة فى الفصول القادمة .

ان تاريخ السنوات الاربع لتى تلت قيام الثـــورة ، الـــى أنتخاب عمك جمال رئيسا للجمهورية باجماع شعبى هائل ، هذا التاريخ يابنى.. هو ماساورويه لك فى الفصول القادمـــة لكى تعرف انت والجيل الذى تنتمى اليه قصة الصراع الجبار بين الحق والباطل . . وبين المثل العليا والانحلال .. وبين شعب أعزل الا من الايمان بحقـــه وســـيادته ، والاســـتعمار المتجبر المغرور بقوته وجبروته ..

وقد كان أول مبدأ من مبادىء الثورة .. هو القضاء على الاستعمار وأعوانه من الخونة فانه من المستحيل أن يتم اى اصلاحا او تقدم لشعب من الشعوب ، وهو يرزح تحت أعباء سيطرة أجنبية ، ايا كان لون هذه السيطرة.. والاستعمار على خبثه وكونه افتك سلاح يدمر حياة الشعوب وأمنها، وسلام العالم كله ، فانه يتطور ايضا فى أساليبه المجرمة شأنه شأن أى ظاهرة من الظواهر . .

وفى كل أسلوب يتخذ له اسما . . وتتعد الاسماء والاساليب . . ولكن الهدف واحد .. هو الجشع وهو الفتك بالشعوب ، والجماعات .. وإشاعة القلق والرهبة فى هذا العالم . . لكى ينزف المستعمرون دماء الابرياء فيقيموا عليها رفاهيتهم وملذاتهم ...

كان اسمه شركات أجنبية تحصل على امتيازات . . .

وتطور الى احتلال عسكرى بالجنود والمعدات ..

ثم تطور الى حماية ..

ثم أطلقوا عليه انتدابا ..

وعادوا فقالوا وصاية ..

ويسمونه اليوم بالأحلاف ..

ولقد ابتلى شعبنا يا بنى فى فترات كثيرة ، بأ شد هذه الأساليب فتكا وتدميرا .. على يد بريطانيا وفرنسا فىتاريخنا القريب ..

عرفنا الحماية على يد بريطانيا ..

وعرفنا الاحتلال أيضا على يد بريطانيا..

وعرفنا الشركات الأجنبيةالتى تحصل على أمتيــازات ، فتصبح دولة ذات سيادة داخل الدولة ، على يــد بريطانيــا وفرنسا كشركة قناة السويس المصرية .. وهى التى اتخذت بريطانيا وفرنسا تاميمها ذريعة للهجوم على مصر، من أجل تحقيق أهداف الاستعمار والسيطرة التى قضت عليها الثورة نهائيا فى سنوات قليلة بالنسبة لمــصر، وبالنــسبة لامتنــا العربية على حد سواء ..

ان قصة هذا العدوان الذى قامت به فرنــسا وبريطانيــا وإسرائيل على مصر بتدبير دنىء غادر تحت ســتار شــركة قناة السويس ، لم تعد قصة كفاح الشعب المصرى وحــده، وانما أصبحت ملكا لكل الــشعوب الــصغيرة التــى أبتليــت بالاستعمار وتكافح من أجل التحرر . .

انها أصبحت قصة فضيحة أولئك الذين كــانوا يــسمون أنفسهم بالكبار .. فعرف العالم كله انهم كبــارفى الاجــرام والغدر ، والخيا نة .. وكبار فى أســاليب النذالــة ، وهــدم البيوت على الآمنين وقتل النساء والفتك بالاطفال ...

انها قصة من كانوا يسمون أنفسهم بزعماء العالم الحر .. فعرف الناس أن الحرية فى نظرهم هى :

التحرر من كل مبادىء الشرف والعدالة . .

والتحرر من القيم الإخلاقية . .

والتحررمما تحرص عليه البشرية الى يومنا هذا من قيم

أنسانية تحفظ على الناس انسانيتهم ، فل ينحطون إلـــى مرتبة االحيوان . .

عرف العالم كل هذا يا بنى عن زعماء ما يسمى "بالعالم الحر " بعد معركة سنة 1956 فلم تكن هــناك قوة تــستطيع أن تخفى هذه الحقائق عن الشعوب . .

وعرف العالم أيضا عن مصر.. أنها صدت تيار البربرية التى ارادت أن تعود بالعالم الى شريعة قطاع الطرق وحكــم الغاب.. ليس عن نفسها فقط وانما عن كل الشعوب الصغيرة كما خط فى لوح القدر ....

كيف حدث هذا ؟..

اننى أكتب لك يا بنى هذه الصفحات وأنا أحس أننا نعيش اليوم فى فترة تطور حاسمة من تاريخ العالم ، لن تراها يا بنى.. ولكنك ستقرأ عنه . . وسيتخذ منها المؤرخــون ، نقطة انطلاق تسجل بدء تاريخ جديد لهذا العــالم.. تــاريخ جديد فى كل شىء ..

وأخطر شىء فى هذه الحقبة.. هو أن الشعوب اليــوم، هى التى تملى هذا التــاريخ وتكتبــه بارادتهــا ، وكفاحهــا ودمائها . . بعد أن كان يكتبه أولئك الكبار بالقهر والــسلب لارادة الشعوب . .

ولن تستطيع قوى أولئك الكبار بعد اليوم ، ان تقهــر ارادة الشعوب ثانية ، مهما كانت هذه القوى ..

لقد استيقـظت الشعوب.. وحطمت ذلك الستار الحديدى الذى فرض على حدودها وعلى ضمائرها وعلـى أرزاقهـا ومقدراتها ..

وأصبحت الشعوب لا تؤمن بغير التعايش السلمى ، مـن غير أن يتدخل أحد فى شئون الأخـر أو يـسلبه رزقـه أو أرضه..

عالم تختار فيه الثعوب ما تريده لنفسها من نظم بمـلء حريتها ..

عالم لا تحرق فيه المحاصيل فى بلـد ، ويمـوت مـن الجوع الملايين فى البلد الأخر . .

عالم لا يفرق بين الجنس أو اللون أو العقيـدة . . ولا يعترف بسيادة لون أو جنس على الآخرين ..

عالم لا يرث أحقاد القـرون . الماضـية التـى فتكـت بالبشرية ، وسببت الحروب . .

عالم يستأصل الاستعمار من جذوره.. لأنه وراء الاحقاد والشرور والحروب والقلق الذى يشقى الإنسان .

كيف حدث هذا يابنى ؟ . .

الفصل الثالث

- كيف حدث هذا يابنى ؟
- ثورة 23 يوليو والثورة الأخرى
- شخصية عمك جمال

كيف حدث هذا يا بنى؟

لم إتوقع ان امسك بقلمى لكى اسطر لك هـذه الكلمـات وعمرك على الإرض لم يتجاوز الشهرين ..

ولقد حدثتك يا ولدى فى الفصل السابق مـن المـذكرإت عن أسلحة حلف الأطلنطى التى جاءت مصر لتخلـع عمـك جمال ،وسردت لك تاريخ أقدم وثيقة لاعلان حقوق الأنـسان وقد كتبت فى مصر .

وحدثتك عن الدروس القاسية التى تعلمتها فى القرية . . وجدتى ، والمشهد الذى تكرر بمد أربعة وسـبعين عامـا ، وقصة الإنذارين اللذين رفضناهما .

وقلت ياولدى ان الطريق لم يكن سهلا ولا ممهدا .. لاننا كنا نواجه عقبات من الرجعيين .. ومن داخـل الثـوره نفسها . .

وذكرت لك ياولدى كيف خرج الجنرال محمد نجيب على مبادىء الثورة.. وهو الرجـل الـذى اخترنـاه اول الامـر لقيادتها .. ولكنه ياولدى فضل ان يتعامل مع اعداء الثورة.. وكادت المسألة تنتهى بكارثـة لـولا يقظـة عمـك جمـال عبدالناصر ..

وقلت لك يابنى اشياء كثيرة .. وحدثتك عن العالم الذى لا يرث أحقاد القرون الماضية والقلـق الـذى يـشقى الانسان .

كيف حدث هذا كما قلت لك فى نهاية الفصل السابق يابنى هذا ما سأرويه لك الان ، ولن تكون روايتى تاريخا أو مذكرات وانما هى كما قلت لك احساسات وانفعلات هى اقرب ماتكون إلى الذكريات منها إلى المذكرات ..

فلكى تستطيع ان تعرف ماحدث ، يجب ان تلم يا بنى بأمرين، الأمر الاول هو ثورة 23 يوليو ، والأمر الثانى هو شخصيه عمك جمال عبد الناصر، وسترى يابنى ان الحديث عن الثورة واهدافها واحداثها طوال الفترة التى أنقضت منذ بدئها فى 23 يوليو سنة 1952 الى هذا اليوم الذى اكتب لك فيه هذه الصفحات فى شهر يناير سنة1957 ، اقول سرى يابنى ان الحديث عن الثورة لابد وان يعود بنا فى كل صغيرة وكبيرة إلى شخصية عمك جمال ، وسترى، أيضا يابنى أن الحديث عن شخصية عمك جمال سيعود بنا دائما إلى فطرة شعب مصر ومقوماته وخصائصه فى القرية والحقل كما هى فى المصنع والمدينة ، هذه المقومات وتلك الخصائص التى هزمت بريطاينا وفرنسا وإسرائيل وردت عدوانهم وهم الذين كانت لديهم أحدث الأسلحه والادوات التى أعدت للحرب والخراب والدمار ..

حديث شيق

ان حديث ثورة 23 يوليو يابنى حديث شيق على مافيه من قسوة وشجى وبرغم مافيه من الوان الصراع ، صراع من قبل ان تبدأ الثورة فى الداخل ، وهو اليوم حديث العالم كله فى الخارج . .

وكما سبق أن قلت مرارا من قبل يابنى ، فان ثورة 23 يوليو حدث تاريخى له شخصيته المستقلة تمام الاســتقلال عن كل ما سبقه من ثورات مماثلة، وله طابعــه ومميزاتــه التى لن يستطيع ان يدركها الا من عاش فى البيئة المصرية او تعرف عليها عن فهم ودراسة . .

وفى هذا القرن الذى نعيش فيه حدثت ثلاث ثورات كانت كلها تكاد تكون مؤدية بعضها الى البعض ، فبعــد الحــرب العالمية الاولى ، وعلى اثر الهزيمة التى منيت بها تركيــا، قام ممطفى كمال اتاتورك بثورته المشهورة لكى يجدد شباب تركيا . .

وايا كانت الوسائل التى اتبعها ، وايا كانت ايضا طريقة فهمها لبعث تركيا ، فان مصطفى كمال استطاع خلال فتــرة حكمه أن يرسى قواعــد كثيــرة لنهــضة تركيــا وقوتهــا واستقلالها الذى يفرط فيه حكام تركيا اليوم علـــى صــورة مؤسفة . .

ثورة موسولينى

وجاءت ثورة موسولينى فى إيطاليا الثانيه فى الترتيــب بعد ثورة تركيا ، وهى قد قامت ــ اى الثــورة الفاشــستية الايطالية ــ عقب الهزيمة فى الحرب العالميه الأولى ايضا..

والذى يهمنى في هذا المقام هو ماصرح به موسولينى مرارا واثبته المؤرخون من ان ثورة ايطاليا الفاشستية إنما كانت نهجا من المدرسة الكمالية أى مدرسة كمال أتاتورك ..

ثم كانت الثورة الثالثة في المانيا بقيام هتلـــر، وهـــو الذى لم يكن يخفى- على الاطلاق- اعجابـــه بموســـولينى وثورته بل ان "هتلر لا يفتأ يعلن ان موسولينى هو اســـتاذه الذى سار على نهجه وتتبع خطاه .

تخرج من هذا الاستعراض المبسط يا بنى بنتيجة هى ان هذه الثورات التى وقعت فى النصف الاول من هذا القرن انما كانت كلها من مدرسة واحدة .

ولكنك حين تأتى يا بنى الى ثورة 23 يوليـــو المـــصرية والتى وقعت فى مستهل النصف الثانى من هذا القرن فانـــك تجد عملا جديدا ، بل منفصلا تمام الانفصال عما سبقه مـــن ثورات وقعت من قبله فى نفس القرن العشرين ..

وهناك ثورة أخرى وقعت قبل تلك الثورات الثلاث يا بنى في نفس هذ القرن وخلال الحرب العالمية الأولى وهـــى الثورة البلشفية في روسيا ولم اشأ أن أجعلهـــا مـــن تلـــك الثورات الثلاث اللاحقة لها لانها مدرسة قائمة بـــذاتها فـــى وطن له ظروفه التى شكلتها محنته وألامه ..

الا ان الباحث يرى وبلمس يا بنى أنه ما من شك فى ان هذه الثورات الثلاث على أختلاف ظروفها كانت تستهدف اول الامر مصلحة الشعوب التى قامت فيها ، ثم جاءت بعد ذلـــك الأنحرافات ، ففشلت أثنتان هما الفاشـــستية فـــى ايطاليـــا والنازيه فى المانيا وتتعثر اليوم الثالثة فى تركيا . .

ثورة 23 يوليو والثورات الاخرى

وأعود الى ثورة 23 يوليو فأقول : ان هذه الثورة حدث جديد تماما يا بنى عما سبقه من أحداث فى نفس القرن من عمر الزمان ، واسباب هذا الاختلاف ترجع فى أساسها الــى ان ثورة 23 يوليو هى الاخرى مدرسة قائمة بذاتها استمدت كل مقوماتها من طينة شــعب مــصر وظروفــه وعاداتــه وأخلاقه.

وسبب آخر؟ أساسى له عمقه ومغزاه هو ان ثــورة 23 يوليو اتخذت من المثل العليا شعارا تمسكت بــه وحافظــت عليه بر غم ما سببه ذلك التمسك من تعويــق لــسير هــذه الثورة واندفاعها فى وقت من الاوقات .

ولنأخذ مسألة قيادة هذه الثورة على سبيل المثال ، فنحن لا نعلم فيما نعلم من تاريخ الثورات فى هذا القرن أو فيمــا سبق من قرون ان قائد ثورة من تلك الثورات يتنــازل عــن مركزه كقائد بمحض ارادته ليدفع برجل أخر الى قيادة هــذه الثورة ، ولا يكتفى بذلك بل يخدم تحت إمرة هذا الذى دفعــه جنديا شريفا مخلصا .

عيوب مصطفى كمال

ان ما نعلمه عن تاريخ الثورات هو عكس ذلك علــى خط مستقيم ، فقد كان قواد الثــورات ولا يزالــرن يخلــون لانفسهم الطريق بالقتل والاغتيال والإرهاب .

فالتاريخ يقرر مثلا ان مــن عيــوب مــصطفى كمــال أتاتورك المشهورة هو انه لم يبق علــى زميــل أو صــديق عاونه الا وقتله .

والتاريخ يذكر أيضا حمام الدم الـذى خاضـه هتلـر بنفسه وبيده .

وموسولينى أيضا لم يمتنع عن القتل الا حين قتل..!!

وجهة نظر الجيش كله

اما فى هذه الثورة ــ ثورة 23 يوليو يا بنى ــ وهـى الى أخذت نفسها بالمثل ، فاننا نرى جمـال عبـد الناصـر الرئيس المنتخب للهيئة التأسيسية للضباط الاحرار سـنتين متتاليتين يسعى قبل قيام الثورة الى اقناع الهيئة بـضرورة تنصيب قائد للثورة من خارج الهيئة لظروف واعتبارات قدر انها لمصلحة الوطن فى الوقت الذى يعلم فيه جمال انه أجدر عن يقوم بها سواء من وجهة نظر الهيئة التأسيسية التـى انتخبته رئيسا او من وجهة نظر الجيش كله ..

ولم يكتف جمال بذلك ، بل انه بادر عقب انتخابه للمـرة الثالثة رئيسا بالاجماع بعد قيام الثورة وطرد فـاروق أقـول بادر فتنازل الى محمد نجيب عن هذه الرياسة وألـح علـى الهيئة التأسيسية حتى قبلت هذا الوضع .

لماذا . . لماذا ؟

ويحق لكل انسان أن يسأل اليوم يا بنى لمـاذا تـصرف عمك جمال على هذا النحو ، فالعالم يجرى على سنن غيـر هذه السنة ، ونواميس الناس اليوم لا تعقل أو تفهم مثل هذا التصرف..؟

وهنا لابد لى من أن أكشف عن جانب من جوانب شخصية جمال عبد الناصر وهو أمر لابد لنا أن نسترشد به طول الحديث يا بنى كما قلت لك فى هذا الفصل .

شخصية عمك جمال

فقد ذكرت فى أول الفصول السابقة ان الهيئة التأسيسية وافقت قبل قيام الثورة على تعيين قائد مسن للثورة من خارج الهيئة الا واحدا عارض فى هذه الخطوة هو أبوك الذى يكتب لك هذه السطور، وقلت أيضا انه كان هناك ثلاثة مرشحون اختير منهم محمد نجيب ، وبعد أن صدر هذا القرار أذكر اننى اجتمعت على انفراد بعمك جمال فى شقته بكوبرى القبة وأخذت أتناقش معه وابدى له تخوفى الشديد من تسلم رجل غريب لقيادة الثورة التى لم تبدأ بعد وكان محور خوفى ان الرجل بحكم سنه وعقليته وجيله الذى نشأ فيه لن يستطيع أن يفهم العمل الثورى ولا يرجى منه بعد هذه السن أن يعيش بعقلية غير عقليته مما يشكل خطرا جسيما على الثورة خصوصا عند البدء .

النفس البشرية

وأذكر انه بان على عمك جمال انه اقتنع وأخذ ينفث دخانه سيجارته على عادته حين يكون مستغرقا فى التفكير ثم لم يلبث انه قطع الصمت قائلا :

" يجب أن تحسب حساب النفس البشرية . . "

ولم أفهم أوله الامر ، ولكن عمك جمال لـــم يلبـــث أن أستطرد قائلا :

" نحن جميعا فى الهيئة التأسيسية زملاء وفى سن واحدة ، ورتبنا تكاد تكون واحدة ، والذى جمعنا فى هذا العمل هـــو الصداقة أولا ثم الاخوة والمحبة اللتان ولدتا الثقة بدليل اننا نتآمر ليل نهار ولا يحس بنا أحد ، وأخشى ما أخشاه اننا اذا جعلنا قيادة الثورة فينا أن يفتح هذا الأمر ثغرة فـــى نفـــس واحد منا ونحن بشر، والنفس البشرية مليئة بالانفعـــالات ، وأنا لا أريد أن يكون مستقبل الوطن معلقا على الانفعالات ، بل لا أريد أن أفرض احتمالا واحدا فى الالف فيه شـــك مـــن انفعال فى نفس أى واحد فينـــا لأن المـــسئولية مـــسئولية مستقبل شعب ، وبالثقـــة والمحبـــة نـــستطيع. أن نحقـــق المستحيل "

وهكذا وضع عمك جمال شعار المثل العليا موضع التنفيذ من قبل أن تبدأ الثورة يا بنى .

وهكذا كان عمك جمال ومازال وسيظل يحسب حساب كل شىء مهما كان مستبعدا يا بنى ، لذلك انهزم وانهار أمامـــه ايدن الذى قضى ثلاثين عامـــا يـــصرف الـــسياسة الدوليـــة ويتحكم فى مقادير البشر وكانوا يعتبرونه استاذا من أساتذة هذا الفن .

ولهذا عرف الساسة فى أمريكا وفى العالم كله أن ذهب العالم كله لا يشترى فى مصر لا المثل ولا المبادىء .

مغزى عميق

ولهذا عادت العزة وعاد الشرف القومى لشعب عريــق بــل لمنطقة بأسرها، منطقة يــسكنها قــوم كــان المــستعمرون يسمونهم " عرب " كصفة تعنى الاحتقار والاشمئزاز، وبين يوم وليلة أصبحت كلمة " عرب " ذات مغزى عميق مخيف، مغزى يفخر به الاهــل والإصــدقاء ، ويرهبــه القراصــنة المستعمرون الأقوياء .

ولهذا أصبحت ثورة 23 يوليو قذى فــى عــين فرنــسا أفقدها الوعى والرشد .

ولهــذا فزع الانجليز وخرجوا على مألوف عادتهم فى ادعاء الهيبة والوقار وأصبحوا وهم يصرخون فــى هــذيان جنونى كشف عن خبيه نواياهم الاستعمارية وانتهى بهم الى الافلاس والجوع. .

والمعركة لم تنته بعد يا بنى حتى هذه اللحظــة التــى أكتب لك فيها هذه السطور ولكن عمك جمال لا يزال كما هو يحسب حساب كل شىء ويستلهم وحيه من روح شعب مصر البسيطة المسالمة ، وهى نفس الروح التى تحطــم القيــود وتنسف السدود إذا غضبت أو ثارت .

وقد انتصرت الثورة وانتصر عمك جمال فى كل معركة خاضها باسم الشعب ، إنتصر يا بنى على ادعياء الدين مــن المشعوذين ، وقضى على الاتجار بالسياسة ، وانتصر فــى مارس سنة1954، وانتصر فى أكتوبر 1956 ، انتصر يابنى فى معركة الاحلاف ، وأنتصر فى معركة العروبة ، وانتصر

فى معركة تسليح مصر وانتصر فى معركة القناة ، وانتـــصر فى معركة وحدة مصر وسورية وهو يكمل اليوم انتصاره فى اتحاد الدول العربية . .

فلنبدأ يا بنى منذ البداية ..

أى من يوم 23 يوليو سنة 1952.

الفصل الرابع

- الانتصارات التى حققتها الثورة
- مظالم 600 سنة حطمها عبدالناصر
- ثورة 23 يوليو مدرسة للمث العليا

الانتصارات التى حققتها الثورة

كان من المتفق عليه فى اجتماعات الهيئـــة التاسيـــسية للضباط الأحرار ، التى تشكلت سنة 1951 ، أن يكون عـــام 1955 هو العام الذى تقوم فيه الثورة .

وأنا أقول يا بنى كان من المتفق عليه لأن قرارا بذلك لم يصدر ، وأنما كان ذلك التقدير مبنيا على الحساب الـــدقيق ، الذى كان يحسبه عمك جمال كعادته يوما بيـــوم ، منـــذ أن تولى أمر هذه الثورة عام 1943 ، أى قرابة تسع ســـنوات كاملة .

وفى خلال هذه السنوات التسع ، استطاع عمك جمال يا بنى أن يطور الفكرة من عمل حماسى لا يرتكز على تنظـــيم أو يقوم على مبادىء ثابتة ، إلى عمل ثـــورى متكامـــل . . يقوم على الوعى بدلا من الحماس . . ويرتكز على تنظـــيم محكم له أهداف محددة واضحة .

وكانت نظرية عمك جمال أن الثورة من غير تنظيم قوى يسندها ويشد من أزرها لن تكون لها ثمرة ، ولن يكتب لها البقاء . ز شأنها شأن أية معركة حربية ، لن يكتب لك الفوز فيها إلا أذا كانت جيوشك تستند بظهرها إلى ما يسمى فـــى الفن العسكرى " بالقاعدة الثابتة " وهى القاعدة التى تـــؤمن لك كل احتياجتك من قبل المعركـــة وفـــى أثنائهـــا ، بحيـــث تستطيع أن تضمن تدفق القوة وتجددها فى شرايين قواتك ، فى كل الظروف .... ومهما كانت الظروف .

وكان عمك جمالى يطلق تعبير " القاعدة الثابتة "على تنظيم الضباط الأحرار ، بعد أن فقد الشعب ثقته فى القـادة والاحزاب وأخذ يتطلع فى أمل مكبوت الى قوأته المـسلحة ، أمله الوحيد الباقى نى الصراع من أجل حريته .

لذلك كان عمك جمالى يصر على أن يـستكمل تنظـيم الضباط الاحرار قوته كاملة ، قبل أن تنطلق منه الثورة .

ومن أجل هذه الاعتبارات ، تحدد مبدئيا عـام 1955 لبد الثورة ..

ولكن الاقدار كانت قد أعدت تاريخا غيـر ذلـك التـاريخ ، ومهدت لذلك بسلسلة من الاحداث وقع أولها فى نهاية عـام 1951حينما ألغت مصر معاهدة التحالف مع بريطانيا .
وأذكر يابنى أن الهيئة التأسيسية اجتمعت فى الأسبوع الاول من شهر يناير سنة 1952 فى منزل عمك حسن ابـراهيم ، برئاسة عمك جمال عبد الناصر ، لكى تبحث الموقف الـذى كان يتدهور بسرعة ، ويسوء يوما بعد يوم .

فبالرغم من أن تشكيل الضباط الاحرار كـان يمـد حركـة المقاومة ــ التى قامت فى منطقة القناة ضد جنود بريطانيـا عقب الغاء المعاهدة بالاسـلحة والـذخائر والـضباط الا أن الصورة كانت قاتمة ، لان الوزارة الحزبية التى كانـت فـى الحكم وقتذاك لم تكن تعنى الكفاح والمقاومة ، بقدر مـاتعنى المكاسب الحزبى ، هذا فضلا عن أنها لـم تكـن لتـستطيع المضى حتى فى هذه المقاومه الكسيحة ، لانها ككـل ورزاة

حزبية أخرى ، عبارة عن باشاوات كل همهم هو أن يؤثروا السلامة مع الجاه ، والمنصب ، وجمع المال ، يضاف الـــى ذلك أيضا أن ملك البلاد التى يقاوم شعبها جنود بريطانيـــا ، جنرال فى الجيش البريطانى .

وكان أخوف مانخافه ، هو أن ييأس الشعب بعــد أن توقفت المقاومة فعلا فى منطقة القناة فى مستهل 1953 بعد أن سيطرت عليها الحكومة ، وبعد أن قتل شباب برىء فـــى معاركها التى لم يكن لهـــا خطـــة ولا تنظـــيم يـــضمن لهـــا الاستمرار والنجاح.. ويضاف الى كل ذلك ، حالة الفوضـــى التى أصبحت تنذر بأخطر العواقب .

فالشعب كان يحقد على الملك ، ويحقد على الاحـــزاب، وأصبح الحكم والحكومة ، هما أعدى أعداء الشعب .. ولـــن يستفيد من كل ذلك إلا العدو الاجنبى الذى يتربص ببلادنا من داخلها ، وهى بريطانيا التى عرفها العالم ، وعرفناها نحـــن سيدة المؤامرات والدس واقتناص الفرص ، للسيطرة علـــى الشعوب من داخلها .

وفى هذا الاجتماع وبعد دراسة شـــاملة ، أصـــدرنا أول قرار يا بنى بتحديد موعد قيام الثورة . . وكان شهر نوفمبر 1952، على أن يبدأ فى الحال بتعبئة كـــل قـــوى الـــضباط الاحرار داخل القوات المسلحة ، لمواجهة أية أحداث قد تطرأ

وكانت أسباب اختيار شهر نوفمبر لقيام الثورة هى :

اولا : الاستفادة من تنقلات القوات التى تتم فى شهر يوليــومن كل سنة ، لكى تحشد فى القاهرة وحدات كاملة من وحــدات الجيش الموالية للحركة والتى كانت مبعثرة بــين صــحراء سيناء والاسكندرية ، وكان ضباط أركـــان الحـــرب الـــذين ينظمون هذه التحركات من الضباط الاحرار

ثانيا : أن يكون الملك والوزراء قد عادوا مـــن مـــصيفهم الـــى القاهرة لكى تكون الضربة واحدة ، وكاملة ، وسريعة ، من غير حاجه الى معارك أو دماء .

وفى نفس هذا الاجتماع أيضا، كلف عمك عبـــد الحكـــيم عامر بعمل تقدير كامل للموقف ، وهو العمل الذى يتم دائما قبل اعداد أية خطة ، لانه عبارة عن دراسة دقيقة لكل شىء من وجهة نظرنا ومن وجهة نظـــر الاعـــداء الـــذين كـــان مفروضا أن نواجههم .

ومعذرة يا بنى اذا كنت أطيل عليـــك فـــى ذكـــر هـــذه التفاصيل... ولكننى أراها ضرورية بعد ان وعـــدتك أن أبـــدأ منذ البداية ، وضرورية أيضا لكى تعرف أنت وجيلك شـــيئا عن طريقة عمك جمال عبد الناصر فى معالجة الاحـــداث ، فكما قلت لك من قبل ، لن تستطيع أن تكون لنفـــسك فكـــرة حقيقية عن كل ما تم من غير أن تعود دائما الى شخـــصية

عمك جمال التى تجمعت فيها كل خيوط هذة الثورة من قبـــل أن تبدأ ومن بعد أن قامت .

وأعود إلى الحديث يا بنى فأقولى انه بعد أن اتخذ قـرار بدء الثورة فى سنة 1952 وصرف النظر عن عـام 1955 للاسباب التى ذكرتها ، لم يضيع عمك جمال لحظة ، بل بـدأ يعمل ليل نهار . فهو يحضر الاجتماعات المستمرة للجـان الضباط الاحرار فى مختلف أنحاء القاهرة ، ثم يعـود الـى منزله فى ساعة متأخرة من الليل لا لينـام ، وانمـا ليعـد محاضراته التى سيلقيها فى كلية أركان الحرب فى الـصباح والتى مايكاد يفرغ منها حتى يكون فـى أنتظـاره اجتمـاع جديد فى مكتبه أو فى منزله ، وهكذا دواليك .

وراحت أيام شهر يناير سنة 1952 تمضى ، والحالـة تسوء يوما بعد يوم .. الى أن كان يـوم 25 ينـاير الـذى ضربت فيه قوات بريطانيـا المـسلحة ، بأحـدث الاسـلحة والمدافع ، دار المحافظة فى الاسماعيلية . . . حيث توجـد قوات البوليس المصرى المجردة من كل ، سلاح اللهم الا من بنادق الحراسة القديمة ، وهـدمتها فـوق ضـباط وجنـود البوليس البواسل الذين أبوا أن يسلموا كما طلب منهم قائد الامبراطرية المظفر !

وكان رد الفعل مفاجئا ومذهلا فى اليوم التالى وخاصـة بعد إن فقد الشعب ثقته فى الحكم ــ كمـا قلـت لـك ــ اذ احترقت مدينة القاهرة ، وعاشت العاصـمة الجميلـة فـى فوضى مروعه لعدة ساعات الى أن نزل الجيش ، ولكن هذه الساعات كلفت العاصمة كثيرا من العناء ، حتى ان ايدن وهو يحاول أن يجد تبريرا لنفسه فى مهاجمة مصر بعد ذلك بأربع سنوات عام 1956 ، وقف يقول فى مغالطة صريحة ، انـه يريـد أن يحمـى الممتلكـات البريطانيـة وأرواح الرعايـا البريطانين .. حتى لا يتكرر ما حدث فى ينابر سـنة 1952 لكى يخفى هدفه الحقيقى هو ى وفرنسا شريكته الذى لم يكن حماية الرعايا، وانما هو اعادة السيطرة الأجنبية على مصر وعلى العرب . . وأغتصاب قناتنا .. والتخلص مـن عمـك جمال عبد الناصر .

على أية حال ، مضى يـوم 26 ينـاير صـشة 1952 بحوادثه الحزينة وكانت هذه الحوادث من العنف بحيث فكـر الملك وقتذاك فى الهروب من مصر .. وأعـد قائمـة بمـن يريدهم أن يستصحبوه فى هروبه وفاتح بعـضهم فعـلا .. وأعد حقائبه .

ووصلتنا هذه المعلومات.. وللمرة الثانية بدأنا نفكر فـــى تقديم موعد قيام الثورة لكى يكون شهر مارس 1952 بـــدلا من شهر نوفمبر سنة 1952، الا أن الامور لم تلبث أن بدأت تعود الى شبه استقرار . . مما دعا الملك لأن يعــدل عــن فكرته ، ليبدأ الفصل الاخير من حياته كملك.. ولكـــى يكتـــب الى الابد مصيره ومصير أسرته التى لم تستند فـــى حكمهـــا لمصر يوما الا على قوة أجنبية .. سواء كانـــت تركيـــا أو فرنسا ، أو بريطانيا التى عبثت بكل مقدسات هــذا الـــشعب الوادع الامين .

وفى بحر خمسة اشهر سقطت وقامت خمـــس وزارات.. كل وزارة منها تشتم أختها وتسب عرضها.. والملك لاه فى القمار والسهرات.. والشعب يعانى من هذا العبث الذى شمل مصيره وارزاقه ومقدراته.. وبريطانيا تقف من هذا المشهد موقف المنتصر الذى خرج من المعركة بكل الاسلاب ..

وجاء شهر يوليوسنة 1952.

وصمم عمك جمال أن يجرب قـوة التنظـيم ، أو " القاعـدة الثابتة " فى " معركة " حقيقية.. لكى يعرف مدى صلابته .

وكانت معركة انتخابات مجلس ادارة نادى الضباط التى خاضها تنظيم الضباط الاحرار بقائمة قد نجحـت بكاملهـا.. وكان أول عمل لهذا المجلس هو أن تحدى الملك علانيـة ، برفض ضم عضو اليه سقط رغم تزكية الملك له .

ثم جاء النصف الاول من شهر يوليـو عـام 1952.. وميعاد قيام الثورة لا يزال كما هو فى نوفمبر .

ولكن الاقدار عادت فغيرت هذا الحساب ايضا .

اذ ما لبثت الوزارة الخامسة ان استقالت يوم 19 يوليو سنة 1952 .. وباستقالتها بدأت الاحداث تخلق موقفا جديدا.

اذ جاءت الانباء من الاسكندرية، بـأن الملـك سـيعهد بوزارة الحربية الى رجل من رجاله ، هو نفس الرجل الذى سقط فى إنتخابات النادى رغم تزكية الملك لـه . . وكـان معنى هذا ان صراعا لابد أن ينـشأ بـين تنظـيم الـضباط الاحرار، وبين الوزيز الجديد من أجل البقاء . .

وكان قرار بدء الثورة

وفكر عمك جمال يابنى بسرعة.. تماما كما فكر ساعة أن سمع أزيز قاذفات القنابل البريطانية ، التى جاءت لتضرب مصر فى مساء 31 أكتوبر سنة 1956 .. وكشف من هذا الأزيز حقيقة المؤامرة الثلاثية على مصر. .

اقول فكر عمك جمال بسرعة ، وانتهى الى قرار هو أنه اذا كان لابد من صراع ، فليكن هذا الصراع من أجل مصر لامن أجل بقاء تشكيل الضباط الاحرار .

وكان قرار بدء الثورة .

عرفه أعضاء الهيئة التأسيسية الذين كانوا فى مصر يوم 20 يوليو سنة 1953.

وحمله الينا فى سيناء ، عمك حسن ابراهيم ، الذى قام بالطائرة لأبلاغه للاعضاء ، الذين كانوا هناك .

وكان نص القرار:

" تحددت الفترة من 22 يوليو الى 5 اغسطس سنة 1952 لبدء المشروع " .

وكان المشروع .. هو الثورة .

كن صادقا مع نفسك يا ولدى

اردت يا بنى ان أذكر لك هذه التفاصيل ، لكى تعلم كيف بدأت الثورة .. وكيف كان عمك جمال يسيطر على الأحداث فيوجهها ولا توجهه .. وهو فى كل ما يصدرعنه ،

أو ينفعل به ، انما يفكر اولا فى مصر، وانقاذ مصر، وبعث مصر .

وقامت الثورة فى ليل 22ــ 33 يوليو سنة 1952.

ولا أريد أن أحكى لك هنا يابنى عن التفاصيل ساعة بساعة ، فأنا لم أدون مذكرات .. لان ذلك لم يكن مستطاعا فيما كنت أعيش فيه من ظروف ، وما كان يحيط بى من أحداث .. لذلك فاننى سأروى لك الحوادث بعد ذلك ، من وحى ما طبعته فى عقلى من احساسات ، وما عكسته على وجدانى من انفعالات ، كما سبق أن قلت لك .. وهى قبل كل شىء رواية نفسى ، فان أصبت فليسى لى فضل، وان أخطأت فليس على ذنب .. وان ما يعنينى هو أن أحكى لك نفسى كما تعودت أن أحكيها لكل من يقرأ لى سطورا
أو كلمات .. والعبرة عندى أن التزم حدود ما احسه ، وينفعل به ضميرى ، من غير أن الجأ الى التزويق أو الأفتعال .

ان أروع متعة يا بنى فى هذه الحياة . . هى أن تكون صادقا مع نغسك دائما .

بهذا الصدق لن تعرف نفسك العقد أوالأزمات، التى اعترف لك اننى تعرضت لها فى حقبة من حياتى بعد الثورة .وانتصرت عليها وأنا استقبلها فى هذه الدنيا أثناء العدوان .

احرص يا بنى فى كل لحظة من حياتك ، على أن تكـون صادقا مع نفسك ، حتى تنعم دائما بالسلام الروحى.

من آجل ذلك أحبه..

وتعلم يابنى أن تغفر للناس ، فان اتعس لحظات يعيشها انسان على ظهر هذه الارض هى تلك التى يتملك النفس فيها غضب أو حقد أو كراهية .

ولكن . . .

تعلم أيضا يا بنى بألا تغفر أو تتهاون أبدا مع من يعتدى علىوطنك .. فانك لن تعرف السلام أبدا ووطنك معتدى عليه .. ولا كرامة ولا شرف لأى انسان ، اذا كانت كرامة وطنـه فى التراب ، أوكان شرف وطنه يداس بالاقدام .

من أجل ذلك ، نحن نحب عمك جمال ..

ومن أجل ذلك ، يكرهه المستعمرون المـسعورون فـى بريطانيا وفرنسا ، وأدعياء السياسه فى أمريكا .

اننى مهما وصفت .. فلن أستطيع أن أصور لك يا بنـى حياة الشقاء الذى عشنا فيه منذ مولدنا .. وكان يعيش فيـه آباؤنا وأجدادنا عبر القرون ، نتيجة للسيطرة الأجنبية .

فقد انتزعت ملكية هذا الشعب.. وأصبحت الارض ومـن عليها ملكا للوالى التركى أيام محمد على تحت حكم الاتراك.. ومن قبل ذلك وأثناء الحملة الفرنسية ، اسـتعبد الـشعب ،

وهدمت بيوته ، وصودرت أرزاقه ، وحولت الجنود الفرنسية جوامعه إلى أسطبلات للخيول ، ولم ينج من هــذا المــصير الجامع الازهر نفسه ، لا لشىء إلا لأن نابليون كان ينافس بريطانيا فى الاستعمار واستعباد الشعوب .

ومن بعد ذلك . اتفقت بريطانيا وفرنسا طــوال القــرن التاسع عشر على اغتصاب مصر ، وأرزاق مصر، ومــوارد مصر بالخديعة والغدر تارة ، وبقوة السلاح تــارة أخــرى.. كما حدثتك فى الفصل السابق .

مظالم 600 سنة .

مظالم ستمائة سنة.. هى التــى حطمهــا عمــك جمــال عبدالناصر يابنى .. ستمائة سنة توالى فيها الحكم التركــى من عهد السلطان سليم ، ثم الفرنسى على يد نابليون ، ثــم التركى مرة أخرى علــى يــد الخــديويين، ثــم الفرنــسى والبريطانى من خلال الخديويين .

إلى أن جاءت سنة 1882 فأغارت بريطانيا على مصر، وانفردت بحكمها منذ ذلك التاريخ ، حتى كان يوم 32 يوليو سنة 1952الذى حدثتك عنه ، والقرار الذى اتخــذه عمــك جمال، لكى ينهى الى الابد مذلة دامت ستمائة عام ، وعــارا لحقا كل هذه الاجيال .

وأصبح يوم 23 يوليو سنة 1952.

وعرفت مصر، وعرف العالم كله، أن جيش مــصر قــد تحرك .

أما الشعب.. فقد انفجر ليهلل ، ويؤيــد .. لان أمالــه المكبوتة التى ورثها عبر عصور المظالم والاضطهاد ، قــد تحققت أخيرا على أيدى ابناء من صميم ترابه .

ولم يسأل الناس أو يترددوا لحظة ، كما هو مفروض ان يحدث عند وقوع مثل هذه الأحداث. .

فالذين قاموا بالثورة ضباط مــن الجــيش .. وضــباط الجيش كلهم مــصريون .. لا يوجــد بيــنهم شركــسى ولا بريطانى .

أما المعسكر الغربى .. وهو ما كان يهمنا عند بدء هذه الثورة لاحتمال تدخله ، فقد أذهلته الضربة الــسريعة التــى تمت فى سرية مطلقة ، وأقلام مخابراته تملأ شوارع مصر ، واجواءها فىتلك الاوقات.

المخابرات البريطانية فشلت

فلقد كان لبريطانيا جهاز مخابرات فى مصر .

وكان متغلغلا فى كل الاوساط .

وكانت سمعته أسطورية .. بمعنى ان مجرد ذكر اسم قلم المخابرات البريطانية ، كان يعنى القوة التى لا قبل لأحد بها، والقدرة الخارقة على معرفة ما يجول حتى فى النفوس من قبل أن ينطق به اللسان .

وكان الإنجليز مغرورين جدا بمخابراتهم ، الى جانب شىء آخر اهم من مخابراتهم وجيوشهم ، وهو ما كان يسمى بالهينة البريطانية .

لذلك كانت الضربة مذهلة حينما قامت الثورة ، وليس لدى مخابراتهم علم سابق كما تعودوا فى كل الاحداث .

وأكتر من ذلك طعنت هيبتهم فى الصميم من أول لحظة حينما تجاهل القائمون بالثورة بريطانيا ، والسفارة البريطانية تجاهلا تاما.. وهى السفارة التى كانت منذ ساعات سابقة مصدر السلطات فى مصر، وسيدة القصر الذى يحكم البلاد ، وقبلة الأحزاب ، ومنتهى أمل القادة والزعماء .

وكان هذا التصرف طبيعيا يا بنى.. بعد كل تلك السنين الطوال من الاحتلال والأذلال .

أما بالنسبة لامريكا، فان الأسم كان يختلف بعض الشىء عنه بالنسبة لبريطانيا .

فبالرغم من اننا كنا نعلم أن هناك صداقة وطيدة بين سفير امريكا والملك ، إلا أنن كنا نحس بالآمال العريضة. كلما ذكرنا المواقف التى كانت بين روزفلت وتشرشل.. وكيف أن روزفلت كان يدافع عن حق تقرير المصير بالنسبة للشعوب الضعيفة ضد جشع بريطانيا وطمع فرنسا .

كنا نذكر بالذات ، تلك الجلسات التى عقدت فى الدار البيضاء .

والحديث الذى دار بين روزفلت والسلطان محمد الخامس ملك المغرب. .

وكيف أن تشرشل كان يتدخل للمقاطعة وتحويل الحديث حضى لا يحصل المغرب على استقلاله مع أن ميثاق الأطلنطى الذى أعلنه تشرشل وروزفلت فى عرض المحيط، لم يكن مداده قد جف بعد .

حق تقرير المصير

كنا نذكر أيضا تاريخ تحرير أمريكا من الاستعمار البريطانى .. وكيف أنها خاضت معركة سنخوض مثلها تماما مع بريطانيا.

وكنا نظن أن ما تركه جورج واشنطن من تراث ، مازال يحفظه الابناء اليوم ، بعد أن كتبه الآباء والاجداد بدمائهم ، وكفاحهم يوم أن أرادت بريطانيا أن تتحكم حتى فى فنجان الشاى الذى يشربه الامريكى .

كنا نعتقد أن حق تقرير المصير، الذى كانت تنادى بـــه أمريكا طوال الحرب الثانية لكل الشعوب الصغيرة وتنديدهها بالاستعمار، حقيقة لا دعاية .

من أجل ذلك كله.. كان تصرف الثورة حيال أمريكا، من أول يوم ، مناقضا تماما لتصرفها حيال بريطانيا .

وانعقدت صداقة حقيقية بيننا وبين السفير الامريكى الذى كان صديقا للملك.

وكان الرجل مخلصا حقا .. الا أن واشنطن ــ كما اتضح فيما بعد ــ كات لها رأى آخر ، يعتمد فى بعضه علـــى آراء الاستعماريين من أمثال ايدن رئيس وزراء بريطانيا ، الـــذى تحطم وانهار امام وقفة عمك جمال .. ويعتمد بعضه علـــى النفوذ الصهيونى البشع الذى يسيطر على الصحافة، وعلـــى الكرنجرس ، وعلى المال فى أمريكا . ويعتمد بعضه أيـــضا على أراء بعض المتهوسين المغرورين من الأمريكان الذين يعتقدون انهم يستطيعرن شراء كل شىء بالـــدولار حتـــى المبادىء والأخلق .. فاذا رفضت أن تبيـــع خلقـــك بـــادروا فملأوا العالم كله بالصياح : انك شيوعى وهـــدام .. وخطـــر على البشرية وعلى السلام !

صداقة الاحرار

ومن أول يوم كنا نؤمن يا بنى بالصداقة .. ولكن فهمنا للصداقة كان ولا يزال هو صداقة الاحرار لا صداقة العبيد .

ومن هذه النقطة بالذات ، بدا الخلاف الذى وصل إلى حد اعلان الحرب على مصر والعدوان عليها بتدبير دنىء فى يوم 29 أكتوبر سنة 1956 ، ولكننى أقرر لك يا بنى ، اننا برغم كل ما حدث فى الشهور السابقة ، وبرغم ذلك العدوان، لم يتزلزل - أبدا- ايماننا شعرة واحدة فى فهمنا للصداقة.. بل على العكس من ذلك.. فنحن نصر اصرارا كاملا على أن أمل البشرية الباقى للعيش والامن ، لن يكون الا فى الصداقة الحرة.. صداقة الشعوب قبل صداقة الحكومات.. صداقة الاحرار التى تنبثق من الاحترام المتبادل ، بعد ان أسفرت معركة العدوان عن صدق ما قلناه ــ من ــ أن المدفع والدبابة لا يفرضان الصداقة، وانما يولدان الحقد والمرارة. .

كانت الصداقة هى العاهل الاساسى الذى اتخذه عمك جمال شعارا له ، وهو يبنى تشكيل الضباط الأحرار يا بنى .. لانها معنى ينسجم مع طباعه ، ويحفز فيه كل طاقات الانتاج والحماس.

فقد كان يسعده فعلا أن يوقف اجتماع شعبة من شعب التشكيل ، او يلغيه.. لان ضابطا زميلا رجاه أن يساعده بشرح درس من دروس كلية أركان الحرب ، وقد لايكون هذا الضابط عضوا فى التشكيل ، ولا ينتظر منه اصلا أن يكون عضوا، وانما يكفى جدا ان يقصد عمك جمال باسم الصداقة ، فيكون له مايريده . . حتى ولو عطل ذلك بعض الوقت ، العمال الذى يعيش ويكافح من أجله عمك جمال.. وهو الثورة . .

وقد نجحت هذه الصداقة فى أن تجعل بناء الضباط الأحرارمهما كان عدده ، بناء قويا عميق الايمان والاهداف .

ونجحت أيضا فى أن توفر الحرية التامة لنشاط ما قبل الثورة.. ولكن أروع ما حققته هذه الصداقة كان يوم 27 يوليو سنة 1952 أى بعد أن تنازل الملك وغادر البلاد بيوم واحد .

ثورة 23 يوليو مدرسة

فى هذا اليوم اجتمعت الهينة التأسيسية لتشكيل الضباط الاحرار، لاول مرة يا بنى بعد قيام الثورة .. وكان عددنا تسعة.

وكان عمك جمال هو الرئيس المنتخب للهينة من قبل قياما الثورة .

وفوجئنا عند بدء هذا الاجتماع ، بعمك جمال يقدم استقالته من رئاسة الهيئة التأسيسية ، طالبا انتخابا جديدا للرئاسة بعد أن انتقلت الثورة من مرحلة الى مرحلة.. وحققت أول نجاح بتنازل الملك .. وأنتقالها من مرحلة السرية، الى مرحلة العلنية .

ولقد كان الرد المفاجىء منا جميعا هو رفض اجراء هذا الأنتخاب.. لأن أخر انتخاب للرئاسة كان فى عام 1952 ولم يكن قد مضى عليه الا بضعة أشهر (فبراير سنة1952) فضلا عن المسئولية التى ألقيت على كاهل الهيئة التأسيسية بهذا النجاح الأول ، والمشاكل الخطيرة التى علينا أن نواجهها تجعلنا نتمسك بأوضاعنا لكى نمضى فى طريقنا .

ولكن عمك جمال أصر يا بنى على أن يستقيل ! !

فأجرى الأنتخاب على الفور .. . .

وفى لحظات معدودة ، جمع عمك كمال الدين حسين أوراق الأنتخاب وأخذ يفضها .. وكانت كلها جمال عبدالناصر .

لقد كن جميعا فى هذه اللحظات يا بنى لا نحس إلا بما تعودنا أن نحس به تجاه عمك جمال من صداقة عميقة واحترام متبادل .. ولو إن أحدا قرأ أفكارنا فى تلك اللحظات لوجدها كلها بخاطر واحد.. هو الثقة فى هذا الصديق الذى حرص فى ساعة النصر، على أت ينتصر للمبادىء والقيم فيستقيل .. حتى لا يظن أحد أنه أغتر مع أنه كان القوة الدافعة للنصر الذى تم .

ومن هذه اللحظة أيضا، تحدد يابنى الطريق الذى سارت فيه الثورة الى يومنا هذا الذى اجلس فيه لكى أسطر لك هذه الكلمات .

ومن هذه اللحظة أيضا، كتب لهذه الثورة ، ثورة 23 يوليو، أن تكون مدرسة قائمة بذاتها تختلف عما سبقها من ثورات .. وكتب لها أيضا أن تكون حدثا عالميا لا فى تاريخ مصر وحدها، وانما فى تاريخ العالم أجمع.. اذ أصبحت هذه الثورة نقطة تحول ـ فى تاريخ البشرية ـ بين تاريخين : تاريخ أصيب فيه العالم بكوارث الاستعمار الذى عصف بالقيم .. واذل الشعوب .. واغتصب الارض والرزق والمصير.. وتاريخ تحررت فيه البشرية لتحفظ للانسانية قيمها ، ولتدك

الأستغلال والاغتصاب .. ولتسحق الاستعمار والمستعمرين لصوص القيم، وقراصنة الشرف.

لقد خاض عمك جمال يا بنى معركة مريرة .. ولا يزال يخوضها لا باسم مصر فقط ، وانما باسم كل ما أراده الله للبشرية من قيم وخلق وعدالة .. وبرغم ما كان يبدو من عدم تكافؤ القوى فى هذه المعركة .

فان عمك جمال استطاع أن ينتصر فى معركة السياسة على دهاقين السياسة الذين أفنوا عمرهم فى الخبرة والدهاء .. وسقط أمامه رئيس وزراء أكبر أمبراطبورية يعرفها العصر الحديث صريعا موصوما بالتآمر والعار .

واستطاع عمك جمال أن ينتصر فى المعركة الادبية حين وقفت من خلفه شعوب تعدادها الف وخمسمائة مليون نسمة.. تصرخ فى وجه أعدائه الذين أرادوا أن يعودوا بالعالم الى شريعة الغاب .

وانتصر عمك جمال فى المعركة العسكرية على جيوش الامبراطورية البريطانية ـ وما يسمى بفرنسا ـ المزودة بأحدث الاسلحة وأفظع ؟ أدوات الفتك والدمار .

أتعرف كيف انتصر يابنى ؟

الفصل الخامس

- لن أستطيع أن أكون ديكتاتورا
- جمال عقل الثورة ومدبرها ورائدها
- انتصر لنا جمال

لن أستطيع أن أكون دكتاتورا

لقد انتصر عمك جمال فى كل هذه المعارك يـــا بنـــى ، وسينتصر باذن الله دائما ، لانه صادق مع ربه ومع نفـــسه ويحاسب نفسه دائما اقسى وأعنف حساب ، فى الوقت الذى يتلمس فيه لغيره كل أبواب العفو والغفران .. يحفظ العهـــد ويصدق الوعد ، و يخلص الود ، ويتقى ربه فى سره قبـــل العلن.. لذلك أيده الله ، وأزره وناصره .

وعمك جمال يا بنى هادى دائما .. ويعرف تماما ما يريد

فبعد أن أنتخب بالاجماع رئيسا للهيئة التأسيسية طـــرح للمناقشة موضوعا وصفه بأنه " حيوى وخطير" .

فقد طلب من الهيئة التأسيسية أن تقرر الفلـــسفة التـــى سيقوم عليها الحكم فى البلاد ، بعد أن أصبح ذلك مـــسئولية مباشرة للهيئه التأسيسية .

وفسر ذلك بأن هناك اليـــوم فلـــسفتين احـــداهما هـــى الديمقراطية والاخرى هى الديكتاتورية .

وأخذ فى شرح مزايا وعيوب كل فلسفة .. وكانما كـــان يلقى محاضرة من محاضراته التى كنت أستمع له فيها فـــى مدرسة الشئون الأدارية .

وبعد أن أنتهى أخذ يعطينا الكلمة واحدا واحدا ، بترتيب الجلوس ، لكى يدلى كل برأيه .

وأذكر يا بنى أننا انطلقنا جميعا فيما عـدا عمـك خالـد محيى الدين الذى لم يكن موجودا ، وكـان بالاسـكندرية.. اقول أنطلقنا جميعا ندلل بالحجج والبـراهين علـى فـساد الديمقراطية .. ولم تكن تعوزنا فى هذا الامـر الحجـج ولا البراهين .

فالحياة الديمقراطية التى عاشها الشعب منذ عام 1923 الىعام 1952 عندما قامت الثورة ، لـم تكـن الا سلـسلة محكمة الحلقات من الفـساد ، والرشـوة ، والمحـسوبية، تفرقت فيها كلمة البلاد ..

وبدلا من أن يكون الكفاح موحدا ضد بريطانيا التى كانت تحتل البلاد بجيوشها، وتفرض عليهـا اسـتعمارا أذل مـن كرامتها ، وسلب آرزاقها، ومنع الشعب من التقدم، والعلـم، والحياة .. نرى بدلا من ذلك أن الكفاح أصبح بين أبناء البلد من اجل المنصب ، والحكم والجاه ...

كان هناك دستور .. ولكن هذا الدستور كان مسجونا من أول يوم صدر فيه ، حين قرر الامر الملكى لـصدوره انـه "منحة" من الملك .

وبعد أن طبق هذا الدستور.. شهدنا جميعا كيف كانـــت ترتكب باسمه الخيانات .. وكيف كانت تلجأ اليـــه الاحـــزاب لكى تجعل من الاحقاد ، والمطامع ، والاســـتغلال ، أعمـــالا قانونية ، وهو الذى كان مفروضا فيه ان يحمى الشعب مـــن حكامه.

وكان هناك ملك حدد له الدستور مكانه، يملك ولا يحكـــم ولكننا على العكس من ذلك ، رأينا الملك يحكم قبل أن يملك..

فانه نتيجة للصراع الحزبى الذى أوجدتـــه الديمقراطيـــة أصبح الامر تنافسا شخصيا بين الزعماء والاحزاب ، لـــيس لمصلحة الوطن . أو مصائره، وانما علـــى الفـــوز بـــالحكم والسلطان.. كان الملك هو الذى يهب الحكم ويمنعه .. لذلك أصبح يسيطر علي النفوس والضمائر.

وشهدنا ــ وشهد العالم ــ أكبر مأساة خلقية تمثل على مسرح الحكم والسياسة فى مـــصر، بطلهـــا ملـــك يخـــضع لشهواته ونزواته ، ومن حوله زعماء كان كل همهـــم أن يشبعوا فيه هذه النزوات ، باالأستسلام والخضوع والتطرف فى اظهار الولاء ، حتى ان زعيما متدينا طلب من الـــشعب فى يوم من الايام أن يتوجه معه الى قبلة جديدة هى جزيرة كابرى.. لكى يحيى الملك الذى كان يعربد هناك فـــى شـــهر رمضان .. ولم يكن ذالك الزعيم طبعا يحسب فى ذلك الوقت حساب الشعب ، وانما كان ، كل ما يحرص عليه هو عبـــادة

ذلك الصنم حتى وهو يعربد ، من أجل البقاء فـــى الحكـــم ، والمحافظة على الصولجان .

وكانت هناك برلمانات .. وكان المنصوص عليـــه فـــى الدستور . هو أن الحكومة مسئولة أمام البرلمان .. ولكننـــا رأينا أنه منذ أن قامت تلك البرلمنات وهى المـــسئولة أمـــام الحكومات ، وبدا سباق فى الفساد والرشوة بـــين الـــوزراء وأعضاء البرلمانات ، كل هذا يجرى تحت قبة البرلمـــان . . وباسم الشعب الذى كان يجلس أولئك النواب على كراســـيهم ليمثلوه .. فداسوا مصالحه ، وحطوا من كرامته ، واندفعوا فى تيار المنافغ الشخصية ، والنزوات الحزبية .

كل هذا كان يطلق عليه فى مصر، قبل الثورة ، كلمـــة "الديمرقراطية " .

والعجيب ان بريطانيا كانت تسعد جدا بتلك الديموقراطية وتعتبرها امرا حيويا للتقدم ؤالحرية ، ولم يكن يخفى علينـــا نحن ابناء هذا الشعب ان حرص بريطانى ، على اطلاق كلمة ديموقراطية على هذه الفوضى المخزية ، انما كـــان ســـلاحا من احقر أسلحتها للسيطرة على هذا الشعب ، بشغل أبنائـــه بعضهم ضد البعض بهذه اللعبة التى تخلـــق الـــصراع فـــى الداخل بين أبناء البلد الواحد وتبقى هى معززة مكرمة فوق كل صراع تفرض أوامرها ، وسيطرتها واستعمارها .

أخذنا نردد كل هذه الآراء الواحد تلوالآخر .. وكان كـــل منا ينتهى آخر الامر بتلخيص رأيه وهو أن الديمقراطية أداة فساد . . ولا معدى لنا ولا مفر من أن نطبق الديكتاتوريـــة لكى يمكن أن نبنى هذه البلاد بعد هذه الفترة الطويلـــة مـــن الفوضى والفساد..

وبعد أن انتهينا جميعا من أبداىء أرائنـــا علـــى النحـــو السالف بدأ عمك جمال يا بنى فى بسط رأيه .. وكنا جميعـــا نكاد نجزم أنه سيشاركنا الرأى .. بعد أن سيطر علـــى جـــو الجلسة اجماع كل منا على رفض الديموقراطية .

بدأ عمك جمال هادئا كعادته يا بنى.. فتناول تفسير كلمة الديموقراطية أولا.. وضغط ـــ مشددا ـــ على أنها تعنـــى أن يكون للشعب الكلمه الاولى فى حكمه .

وأخذ يدلل على سلامة هذا المعنى من نفـــسى الحجـــج التى اورد ناها .

فلو أن ارادة الشعب كانت مفروضة على الحكـــام قبـــل الثورة ، لما استطاع الملك أن يعبث كل ذلك العبث بمساعدة الحكومات .

ولو ان أرادة الشعب كانت هى العليا ، لما اندفع الزعماء والوزارات . فيما اندفعوا فيه من خيانة لمـــصالح الـــشعب ومقدراته .

وبعد ان دلل على ذلك من الواقع طويلا بدا يتناول نقطة اخرى.. هى أن هذه الثورة قد قامت لتخلص الـشعب ممـا عاناه .

من استبداد ومظالم ، لا لتبدأ عهدا جديدا من الاستبداد والمظالم.. فطبيعة شعبنا سمحة طيبة تنفر من القوة والتسلط عليها، مهما كان هدف هذه القوة، أو ذلك التسلط .

وانتهى يا بنى من هذه النقطة بتقرير حقيقة طلب منا ألا نتجاهلها وهى أن مغزى قيام هذه الثورة يكون قد انتفى تماما ، اذا نحن فرضنا على هذا الشعب ديكتاتورية ، لان النظام الذى كان يطبق قبل الثورة لم يكن ديمرقراطية انما كان ديكتاتورية حزبية ، اطلقت على نفسها ديمرقراطية، ويكفى من ذلك ان نعود الى الوراء قليلا.. يوم تقرير ضريبة الأطيان بأثر رجعى فى أحد برلمانات العهد الماضى، لكى ندرك الى أى مدى كانت تطبق الحكومات شر أنواع الديكتاتورية ، لأنها تقرر باسم البرلمان .

حتى لو اقتنعت بالديكتاتورية ثم

ثم انتهى الى النقطة الاخيرة ..

وهى انه لن يستطيع أن يكيف نفسه على أى نظام ديكتاتورى ، لان ذلك يتنافى مع طبيعته.. وقأل بالحرف الواحد :

" حتى لو أقتنعت بالديكتاتورية ، فأنا أحس اننى لن أستطيع أبدا أن أكون ديكاتورا أو حتى فردا فى نظام ديكتاتورى " .

وما أن انتهى عمك جمال يابنى من بسط رأيه على ذلك النحو حتى ساد الجلسة جو مشحون بالكهرباء والعصبية .

فألى اللحظة التى بدا فيها عمك جمال يبدى رايه لم يكن يساور احدا منا شك فى اننا متفقون تمام الاتفاق عل المنهج الديكتاتورى .. وانما تجرى المناقشة فقط ، لكى يكون تقرير الأمر بعد مناقشة كعادتنا دائما فى كل ما يعرض علينا من أمور ولكن حديث عمك جمال كان كالقنبلة يا بنى.. خاصة وان اللهجة التى تحدث بها اشعرتنا جميعا أن وراء كل كلمة وكل رأى أبداه تصميما صلبا.. ونحن نعرف أن عمك جمال لا يصمم يا بنى الا بعد تفكير وروية . فاذا ما صمم ، فان قوى الارض كلها لا تثنيه عن ذلك التصميم .

بدا لى يا بنى أن مصير الثورة كلها التى لــم يكــن قــد مضى عليها الا بضعة ايام حققت فيها أولى خواتطها،أقول: بدا لى أن مصير هذه الثورة يتأرجح فى شدة وعنف .

وخطر لى خاطر، وهو:

ان تأجيل هذه المناقشة من غير أخــذ الأصــوات كمــا تقضى اللائحة ، قد يتح الفرصة لكى تهدأ نفوسنا جميعا فان أخشى ما كنت أخشاه، هو أن يقع بيننا تصدع خطير نتيجــة للتصويت .. لاننى أعرف جمال يا بنى منذ أن كنــا ضــباطا صغارا .. وأعرف انه حين يقتنع بأمر، فهو لن يتزحزح .

ثم أفزعنى خاطر آخر.. هوأن عمــك جمــال ســيتنحى بالتأكيد عن الاشتراك فى هذه الثورة اذا ما جاءت، نتيجــة التصويت كما هو ظاهر.. فطلبت الكلمة .

وأخذت أتناول المناقشات التى دارت من زإوية قــصدت بها " تمييع " المناقشة بقصد تأجيلها، ولا أذكر اليوم ما قلته ، وهو مثبت طبعا فى محاضر الهيئة.. ولكنى اذكــر شــيئا واحدا:

هو أن عمك جمال تنبه لما أعمده، فاندفع يهاجمنى فــى عنف، مقررا أن المناقشة يجب أن تنتهى الــى قــرار، لأن الامر اخطر من الايبت فيه فى الحال.

واخذت الاصوات، وكانت النتيجة سبعة أصــوات فــى صالح الديكتاتورية وصوت واحد فى صالح الديمقراطيــة.. هو صوت عمك جمال .

وصوت غائب.. هو صوت عمك خالد محيـــى الـــدين ، الذى كان فى الاسكندرية ، وهكذا وقع ما كنت أخشاه .

وأعلن عمك جمال بعد النتيجة أنه يحترم قرار الاغلبيـــة ويعلن استقالته ، وانسحابه من الثورة .

ودعا لنا بالتوفيق فى السير بها وبـــالبلاد ، ثـــم جمـــع أوراقه ، وغادر مبنى القيادة إلى منزله .

خرج جمال يابنى ، وبقينا نحن الـــسبعة جلوســـا الـــى منضدة الاجتماع وقد أذهلتنا المفاجأة !

لم يتحرك منا أحد ، ولم يتكلم منا أحد ، وانما أخذ ينظر بعضنا الى البعض فى صمت مطبق، وكأنما كانـــت عيونـنـــا تنطق بما يجول فى ضمائرنا، بل لعل الصدمة كانت مروعـــة الى الحد الذى ألجمت فيه ألسنتنا وجمدت حتى التعبير فـــى عيوننا، فانسحاب عمك جمال على تلك الصورة يا بنى كـــان منطويا على كارثة مدمرة للثورة ، لجملة اعتبارات :

جمال عقل الثورة

أما الاعتبار الاول يا بنى فهو ان عمك جمال هو عقـــل الثورة ومدبرها ورائدها .

بمعنى انه الى هذه اللحظة مثلا بعد مضى عدة ســـنوات على قيام الثورة فان أحدا منا نحن الذين كنا فى مجلس قيادة الثورة لا يعلم بالضبط عدد الضباط الاحرار، ومن هم الـــذين

خرجوا يوم 23 يوليو سنة 1952 ومن هم الذين لم يخرجوا الا فرد واحد هو عمك جمال .

وما زلنا بين الحين والآخر نسمع أسماء ضباط لا نعرفهم فيقول عمك جمال ان فلانا هذا خرج يوم23 يوليو وكان يقود الوحدة الفلانية ، وفلان هذا تأخر ساعتين عن موعد وصوله المنطقة الفلانية .

ولكن عمك جمال ـ والشىء بالشىء يذكر ـ يرفض الى يومنا هذا وسيظل يرفض أن يصرح بأسماء بعض الضباط ممن خانتهم أعصابهم فى اللحظة الاخيرة فلم يشتركوا فى الثورة ساعة قيامها ايمانا منه بالمبادىء التى اختارها لنفسه، نفسى المبادىء التى جعلت من ثورة 23 يوليو عملا جديدا ، ونهجا مستقيما يقوم على الخلق ويتمسك بالمبادىء .

الفراغ الذى لا يملأ

أما الاعتبار الثانى يا بنى فهو أن انسحاب عمك جمال اوجد فراغا خطيرا لا يستطيع أحد منا أن يملأه ولا نستطيع نحن الثمانية الباقين جميعا أن نملاه . فالمسألة لم تكن مسألة انسحاب . عضو من الهيئة التأسيسية ، وانما هى انسحاب الرجل الذى أسس هذه الهيئة التأسيسية ، وهنا يجمل بى ان أحكى لك يا بنى عن تاريخ هذه الهيئة .

فكما قلت لك سابقا يا بنى تولى عمك جمال إمـــر هـــذه الثورة سنة 1943 وكان معه فى ذلك الوقت أعمامك بغدادى وخالد وحسن أبراهيم وكنت انا قد قبض على فـــى الـــسنة السابقة ، أى سنة1942 ، وإلى ذلك التاريخ الذى تولى فيه عمك جمال مسئولية التنظيم اى سنة 1942 لم يكـــن هنـــاك جهاز لهذا التنظيم وانما كانت هناك جماعات مـــن الـــضباط تجمعهم الصداقة تارة والزمالة فى الدراســـة تـــارة أخـــرى ويربط الجميع شعرر واحد هو كراهية السيطرة البريطانيـــة التى اتخذت أشكالا متعددة سواء فى الجيش أو فـــى جميـــع فروع الحياة فى مصر مما أوقع البلاد بين أنيـــاب اســـتعمار سياسى واقتصادى واجتماعى كاد يقضى كل كيان هذا الشعب .

لذلك كانت تتسم كل خططنا بالحماسة عندما يقع حـــدث معين ، فمثلا عندما هجمت ايحناليا على مصر ســـنة 1940 كان أول ما تبادر إلى ذهننا هو أن ننتهز هذه الفرصة ونقوم بثورة نقضى بها على فلول البريطانيين الذين كانوا فى مصر خاصة وأن استعداد الجيوش البريطانية فى مصر فـــى ذلـــك الوقت كان ناقصا الى الحد الذى طلبوا فيـــه الـــى الجـــيش المصرى أن يعطيهم اسلحته ، وكادوا أن يتسلموها لـــولا ان رفضنا نحن الضباط الاصاغر ــ وقتذاك ــ تـــسليم أســـلحتنا ونحن أحياء .

وكذلك حدث نفس التفكير، عنـــدما ســـلمت فرنـــسا ، وعندما وصل روميل بجيوشه الى العلمين .

أى ان تنظيم الضباط الاحرار لم يكن يعتمد على جهــاز بقد!ر ما كان يعتمد على الحماسة والعاطفة فى خططه .

قاعدة الانطلاق

ولكن عمك جمال ما إن تسلم المسئولية حتى . بدا يكون الجهاز او ــ القاعدة ــ التى لا بد من ايجادها لكى تنطلــق منها الثورة وتظل بعد ذلك حصنا يدفع عن الثــورة الــدس والمؤامرات . وكان عمك جمال يصر على تكوين هذا الجهاز أصرارا شديدا مهما كان الوقت .

الذى يتطلبه هذ التكوين وكان يقول اننا اذا أفلحنا فى ايجــاد جهاز قوى وانفقنا فى ذلك عمرنا كله فاننا نكون قــد أدينــا واجبنا كاملا نحو الاجيال المقبلة اذ سيكون من السهل عليهم أن يطلقوا الشرارة فقط فيبدأ الطرفان .

من أجل ذلك ظل عمك جمال يعمل ليـــل نهـــار منـــذ ســـنة 1943الى سنة 1948 حيث وقعت الحرب الاولى مع اسرائيل ، ثم استأنف نشاطه بعد هذا سنة 1949 ، بعد عودته مـــن الحصار فى الفالولجا . إلى أن كانت سنة 1950 حيث فـــرغ من بناء القاعدة الاساسية لتنظيم الضباط الاحرار فى شـــعب ولجان وأصبح الامر يتطلب ايجاد هيئة عليا للتنظيم ، وكـــان هذا هو بدء مولد " الهيئةالتأسيسية " .

أن الذى جمع أعضاء هذه الهيئة التأسيـــسية فـــرد واحـــد هوعمك جمال يا بنى ! اجتمع بهم فـــرادى أول الامـــر ثـــم جمعهم فى هيئة بعد ذلك ، لذلك لم أكن أبالغ حين قلت لك يا بنى أن انسحاب عمك جمال على تلك الصورة أوجد فراغـــا خطيرا لا يمكن ملؤه ، كل هذا بخلاف ما لعمك جمـــال مـــن شخصية متزنة نحترمها جميعا وتعودنا أن نعتمد عليها فيما ، كان يقابلنا من مواقف وأزمات قبل قيام الثورة ، وتعودنـــا أن نجد فى أسلوبه دائما راحة وثقة وعمقا .

انتصر لنا جمال

أعود الى حديث السبعة الذين يجلسون حول منـــضدة الاجتماع فى مبنى القيادة فى كوبرى القبة ، فأقول لك يا بنى اننا امسكنا عن الحديث بعد انسحاب عمك جمال واستعـــضنا عن ذلك بالنظر الى بعض، ولا اذكر اليوم كم مـــن الـــزمن مضى علينا ونحن على هذ الحال ، وانما ما اذكره هو اننـــا انتهينا الى قرار حاسم من خلال ذلك الصمت ، هو انه لابـــد

أن يعود جمال رئيسا للهيئة التأسيسية ولتكن فلسفة الحكـــم هى الديمقراطية كما يريدها جمال وليست الديكتاتوريه كمـــا نريدها نحن جميعا .

وكانت هذه المعركة هى اول معركة انتصر فيها عمـــك جمال يا بنى ، وهو لم ينتصر بالمعنى المادى الذى قد يتبادر الى الأذهان ، اى باملاء ارادته علينا ، وانما انتصر لنا ضد نفوسنا ، وانتصر لمصر فجنبها الدماء والأحقاد والـــويلات التى تلازم دائما الديكتاتورية وحكم الأفراد .

كانت هذه المعركة ايضا يا بنى هى اول تطبيـــق لمبـــادىء المدرسة الجديدة التى جعلت من ثورة 23 يوليو نهجا جديدا فى التاريخ ، فبرغم أن القوات المسلحة يرأسها ضباط شبان ــ هى التى قامت بها ، فان طلقة واحدة لم تطلق على أحـــد فى جميع مراحل الثورة سواء فى ليلة 23 يوليو ــ منـــذ قيام الثورة ــ أو بعد ذلك يوم 26 يوليو حين تنازل الملـــك عن العرش وخرج من البلاد .

ولم تنصب المشانق كما حدث فى الثورة الفرنسية مثلا .

ولم يقتل احد غيلة كما كان يحلو لمصطفى كمـــال فـــى تركيا أن يتخلص من اعدائه .

ولم يقذف بأحد فى أعماق السجون لكى يموت من غير أن يدرى أحد بأمره كما كان يفعل موسولينى .

وانما استخدمت القوات المسلحة كل ـ ثقلهـا ـ فـى ارغام اعداء الشعب على التسليم من غير ان تكلف الـشعب ارهاقا او أن تلجا الى الصلف والغررر حتـى مـع هـؤلاء الاعداء الذين تساقطوا أمام الثورة كما تتساقط أوراق الشجر فى الخريف .

وحين عاد عمك جمال يا بنى الى مكانه منا على كرسى رئاسة الهيئه التأسيسية فى اليوم التـالى تلبيـة لاصـرارنا واجماعناعلى عودته . . اقول حين عاد عمك جمال لم يكـن ذلك أيذانا ببدء تطور تاريخى خطير فى مصر وحدها ، وانما فى تاريخ البشرية بأجمعها .. اذ أراد الله سبحانه وتعالى أن تنهار على يديه أ مبراطوريتين عرفهما العصر الحديث.. هما بريطانيا العظمى والاتحاد الفرنسى .

أنهارت على يديه هاتان القوتان يا بنى وهما تملكـان من أسلحة الدمار والفتك أحدثها ، فى الوقت الذى لم يكـن عمك جمال يملك الا ايمانا راسخا بربه وبوطنه ، تجلى فـى أروع صورة يوم ان كانت الطـائرات تقـذف مـدن مـصر بالقنابل فكان عمك جمال يقول :

" الله اكبر من كل سلاح ، واقوى من كل من يـصورله الغرور أنه أقوى الاقوياء " .

بهذا الايمان انتصر عمك جمال يا بنى لا لمصر وحـدها وانما لكل الشعوب التى عانت طوال القرون الـسابقة مـن السيطرة الاجنبية وأستعمار الرجل الابيض الذى لم يعـرف يوما الخلق ، ولا الضمير، ومن أجل ذلك شـنوا ويـشنون اليوم على عمك جمال حربا يائسة ، استخدمت فيها برطانيا

وفرنسا السلاح والعتا فلما فشلتا بدأت امريكا تكمـــل نفـــس المعركة بسلاح آخر هو سلاح الدس الـــسياسى والأغـــراء بالدولار والتخويف بالاساطيل لكى تحقق نفس الاهداف ولكن بفارق بسيط هو ان امريكا تعمـــل لحـــساب امبراطوريتهـــا الجديدة الصاعدة بعد ان ايقنت من انـهيار الامبراطـــوريتين الغاربيتين .

الفصل السادس

- المراحل الثمانى الخالدة فى تاريخ الثورة
- المرحلة الأولى : مرحلة الآمال
- صداقتنا للسفير الأمريكى
- أخطر أسلحة الاستعمار
- الوعود والأمانى
- الاستعمار يبدأ ببعثة عسكرية
- أتفاقية السودان

المراحل الثمانى الخالدة
فى تاريخ الثورة

ولابد لى ان استعرض لك يا بنى المراحل المختلفة التى أدت الى الوضع الراهن .

المرحلة الاولى: مرحلة الامال

تبدأ مع بدء الثورة وتنتهى بعقد اتفاقية أكتـــوبر ســـنة 1954 التى نسفتها أول قنبلة سقطت على مـــصر فـــى 31 أكتوبر سنة 1956 .

المرحلة الثانية : مرحلة التضليل

وتبدأ من أول نوفمبر سننة1954 وتنتهى فى يناير سنة 1955 .

المرحلة الثالثة : مرحلة ظهور النوايا

وتبدأ فى 28 فبراير سنة 1955 وتنتهى فـــى ســـبتمبر سنة 1955 اى يوم أن عقدت صفقة الاســـلحة بـــين مـــصر وتشيكوسلوفاكيا .

المرحلة الرابعة : مرحلة المساومة

وتبدأ من سبتمبر سنة 1955 وتنتهى فى 30 يوليوسنة 1956 أى منذ أن عقدت صفقة الاسلحة المشار اليها الـــى يوم ان سحبت أمريكا ، والبنك الدولى ، وبريطانيا مشروع تمويل السد العالى .

المرحلة الخامسة : مرحلة المؤامرة

وتبدأ يوم 26 يناير سـنة 1956 أى يـوم أن صـدر مرسوم تأميم شركة قناة السويس وتنهى فى29 أكتوبر سنة 1956 يوم أن بدأت إسـرائيل تنفيـذ المـؤامرة الثلاثيـة علىمصر .

المرحلة السادسة : مرحلة الاذلال بالقوة

وتبدأ يوم 30 أكتوبر سنة 1956 وهـو اليـوم الـذى أرسلت فيه بريطانيا وفرنسا . إلى مـصر انـذارهما الـذى وصف فى بريطانيا بأنه عمل قذر وتنتهى فى يوم 6 نوفمبر سنة 1956 وهو يوم وقف اطلاق النار .

المرحلة السابعة : مرحلة الفضيحة الكبرى

وتبدأ يوم 6 نوفمبر وهو اليرم التالى لوقف اطلاق النار وتنتهى فى يوم 23 ديسمبر سنة 1956 وهو تاريخ انتهـــاء انسحاب بريطانيا وفرنسا من بورسعيد .

المرحلة الثامنة : الأصرار على المؤامرة

وتبدأ من يوم24 ديسمير سنة 1956 وهو اليوم التـــالى لانسحاب فرنسا وبريطانيا وهذه المرحلة لم تئته الـــى هـــذا اليوم الذى أدون لك فيه هذه الذكريات ، ولكنك ستجد يا بنى انه لن يصعب أستنتاج مـــا ســـتكون عليـــه نهايـــة هـــذه المرحلة...

المرحلة الاولى: مرحلة الآمال

من بدء الثورة إلى أكتوبر 1954

انني أذكر يا بنى جلسات الهيئة التأسيسية التى عقدناها فى مستهل عام 1952 والتى حكيت لك عن جانب منها، وأذكر أن تقدير الموقف الذى وضعه عمك عبد الحكيم عامر ترك نقطتين فى هذا التقرير على بياض أى لم يناقشهما كما ناقش بقية النقط ، وكانت هاتان النقطتان أو كما نسميها فى الإصطلاح العسكرى " العاملان " هما:

احتمال تدخل بريطانيا.

واحتمال تدخل أمريكا فى المراحل الأولى للثورة .

الدرس الذى وعاه فاروق

نلم يكن يخفى على أحد ان بريطانيا تسعى دائما لفرض المزيد من سيطرتها على البلاد ، وكانت تفرض حمايتها على الأحزاب السياسية ورؤسائها بالعدل والقسطاس لكى يمثل كل منهم دوره وقت أن يطلب أليه ذلك ، هذا فضلا عن أن ملك البلاد فاروق كان قد تعلم من حادثة 4 فبراير سنة 1942 درسا هو إلا يعارض سياسة بريطانيا.. بل خرج من هذه الحادثة بحكمة خالدة هى ان يوفر لنفسه الأمان والسلام بتتفيذ كل ما تريده بريطانيا، حتى يستطيع أن يتفرغ لاشباع شهواته ونهمه لجمع المال والثروة .. وتطورت الامور الى أبعد من ذلك فأنعمت عليه بريطانيا برتبة جنرال فىالجيش

البريطانى .. وكان بهذا الشرف الذى منحه أياه اعداء البلاد ، ومنذ ذلك الوقت وهو منحرف الى ملاذه واهوائه .

احتمال تدخل بريطانيا

نخرج ممن هذا العرض البسيط يا بنى بأن أحتمال تدخل بريطانيا ضد الثورة فى مراحلها الاولى كان يعتبر حقيقة لابد أن تقع لأن هذه الثورة لا بد أن تطيح بالاحزاب وزعمائها الذين تبسط عليهم حمايتها وبالملك الخاضع لها .

ولم يكن الامر يقتصر على بريطاليا وحدها وانما كانت هناك أمريكا أيضا ، وكان الملك قد عقد لنفسه صداقة متينة مع سفير أمريكا فى مصر المستر كافرى لكى يتقى بأمريكا شر انجلترا اذا ما فكرت فى أن تنقلب عليه فى يوم من الأيام ، وكان طبيعيا جدا أن ترحب أمريكا بهذه الصداقة وأن تعمل على تعزيزها وهى التى بدأت تحس بأهمية هذه المنطقة من العالم خاصة وأن شعور الكراهية ضد بريطانيا كان يزداد يوما بعد يوم فى البلاد : مما أتاح لامريكا فرصة ذهبية لكى تبنى لنفسها سمعة تقرم عئى أنها ضد الاستعمار وانها بطلة الحريات ، وتقرير المصير .

مركز الثقل يتزحزح

وبدأ مركز الثقل يتزحزح رويدا رويدا من السفارة البريطانية الى السفارة الأمريكية .. بممنى ان رئيس الوزارة المصرية كان لا بد لكى يعين أن يكون مرضيا عنه من

السفارة الامريكية، ومعروفا تمام المعرفة لافرادها ، بعد أن كان هذا من اختصاص الـسفارة البريطانيـة ومستـشارها الشرقى المشهور .

أعود بك الى سياق الحديث يا بنى فأقول أننا ازاء كـل هذا كان لا بد أن نحسب حساب بريطانيا وأمريكا عند وضع خطة قيام الثورة ، ولكننا بمد مناقشات طويلة انتهينـا الـى قرار، وهو أن يترك أمر هذا التدخل الى ساعة وقوعه. لأنه لم يكن لـدينا لا القـوات ولا الأسـلحة التـى تـستطيع أن نخصصها لمقابلة هذا التدخل علما بأن بريطانيا كان لها أكثر من خمسة وثمانين ألف جندى مزودين بالسلاح والعتاد فـى منطقة القناة .

معركة شعبية

وعولنا على أن تبدأ الثورة ..

فاذا تدخلت بريطانيا ، أو أمريكا ، أو الاثنتان معا . فـلا بد من أن تتحول المعركة الى مقاومة شعبية يـشترك فيهـا الجيش مع الشعب .

ولكننا فى تلك اللحظة كنا نستبعد تدخل أمريكا فى الوقت الذى كنا نرجح فيه تدخل بريطانيا خاصة وانه كـان علـى رأس حكومتها مستر تشرشل وهو الرجل الأستعمارى الكريه البغيض .

وقامت الثورة فى ليلة 22/ 23 يوليو سنة 1952 .

وفى الساعة الثانية من صباح يوم 23 يوليو .. أى بعد حوالى الثلاث ساعات من قيامها كنا نـــسيطر علـــى جميـــع القوات المسلحة من صحراء سينا . . إلى القـــاهرة .. إلـــى الأسكندرية .

وفى اللحظات الهاجعة التى تصاحب ظهور أشعة الفجر، كانت أصوات جرارات المدافع تنساب فى نغم متدفق من أمام مبنى القيادة لكى تؤمن المراكز الحيوية فى العاصمة .

تفاهم غير منتظر

وهنا خطر لنا خاطر... هو ان نخطر أمريكا عن طريـــق سفارتها بأن ثورة مسلحة قد قامت وسيطرت على الموقف .

وان قيادة هذه الثورة قد رات ان تخطر أمريكا حتـــى لا تستغل بريطانيا هذه الفرصة فتشوه الثورة واهدافها لامريكا

وأننا عازمون على المضى بالثورة مهما كانت الظروف.

واننا سوف نقاوم اى تدخل . أجنبى بـــالقوة والـــسلاح مهما كان الثمن .

وفعلا اتفقنا بعد مناقشة قصيرة على أن نوفـــد ضـــابطا ذهب وطرق أبواب السفارة الأمريكية مع أول خيط من خيوط النهار وأبلغ المسئولين فيها ما اتفقنا على ابلاغه اياهم ..

ولقد كان رد الفعل على خلاف ما توقعنـــا ، فاننـــا كنـــا نتوقع أن يكون سلوك أمريكا متحفظا ان لـــم يكـــن معاديـــا بوصفها حليفة بريطانيا ، و لكن علـــى العكـــس مـــن ذلـــك أظهرت أمريكا فهما عجيبا للموقف ، برغم ان سفيرها فـــى مصر كان يعتبر الحامى الأول لحمى الملك .

قرار طرد فاروق

بل اكثر من ذلك .. فانه عندما استنجد فاروق صبيحة 26 يوليو سنة1952 بالسغير الامريكى عقب أن حوصرت سراى رأس التين ، فان المستر كافرى كان واعيا وحصيفا فلم يبادر إلى استدعاء القوات الامريكية ، مثلا، لحماية الملك فيهب الشعب كله للمقاومة وتقوم المذابح .. وانما ارسل مستشار السفارة الامريكية المدعو سباركس الى رئاسة مجلس الوزراء فى بولكلى ، حيث قابلنا فى الساعة التاسعة صباحا ليطلب فقط باسم الحكومة الامريكية أن يؤمن الملك على حياته الشخصية فقط .. وكنا قد اتخذنا فى الليلة السابقة قرارا فى هذا الشأن ، وهو ان يطرد الملك بعد تنازله عن العرش .. واستبعدنا قرار محاكمته واعدامه ، بعد أن اختلفنا طويلا على ذلك .

صداقتنا للسفير الامريكى

وهكذا بدا لنا ان أمريكا تفهم الأوضاع على حقيقتها بعقلية غير تلك العقلية الاستعمارية، وبدا لنا أيضا ان لأمريكا سياسة أمريكية على خلاف ماكنا نعرف من انها تسير فى ذيل السياسة البريطانية الأستعمارية.. وخاصة فى هذه المنطقة من العالم التى كان يدعو الساسة البريطانيون الاستعماريون أنهم خبراؤها الوحيدون ، ولعل هذا يلقى لك ضوءا يا بنى على ما قلته لك سابقا من أن تصرف الثورة حيال أمريكا كان مناقضا من أول يوم لتصرفها حيال بريطانيا وان صداقة حقيقية انعقدت بيننا وبين السفير الأمريكى المستر كافرى وان الرجل كان مخلصا حقا .

فمن أول يوم لبينا دعوة المستر كافرى التى دعانا فيها إلى العشاء وذهبنا جميعا إلى منزله .. قبل أن يعلم النـــاس فى مصر والعالم من هم رجال ثورة مصر فى الوقت الـــذى قاطعنا فيه السفارة البريطانيـــة تمـــام المقاطعـــة حتـــى ان المستشار الشرقى بها كان يبحث ويحاول أن يـــصل إلـــى معرفة أشخاصنا ، ثم بدأ بعد ذلك يتصل ببعض أصدقائنا من الصحفيين لكى يدلوه على طريقة يتصل بها بنا، أو يكونـــوا واسطة لاجتماعه بأحدنا ، كان هذا فى الوقـــت الـــذى كـــان السفير الامريكى فيه دائم الاتصال بنا .. وفى كل مرة كـــان يظهر تفهما وادراكا لحقيقة أهدافنا ممـــا جعلنـــا نحـــس أن امريكا عاازمة حقا على التمسك بما تعلن عنه من انها ضـــد الاستعمار . . وانها مع حـــق تقريـــر المـــصير للـــشعوب الصغيرة التى ابتليت بالسيطرة الاجنبية .

أراء واشنطن

ويقينى اليوم وبعد كل ما حدث من أمريكـــا ويحـــدث أن المستركافرى كان رجلا مخلصا تمام الاخلاص وانـــه كـــان يفكر بعقلية ناضجه لمصلحة أمريكا قبل كل شىء ، ولكن ما حدث بعد ذلك وما يحدث فى هذه الايام التى أكتب لك فيهـــا هذه الكلمات أثبتت بطريقة قاطعة ان آراء المـــستر كـــافرى شىء .. وآراء واشنطن وأولنك الذين يجلسون الى المكاتب فيها شىء آخر ..

وأعود الى الحديث يا بنى فقد ذكرت انه بـدات مرحلـة عقب قيام الثورة أطلقنا عليها مرحلة الآمال ، فقد كان أكثر ما تتميز به هذه المرحلة من يوم أن أخطر رسولنا أمريكـا بقيام الثورة الى يوم ان وقعت اتفاقية أكتـوبر سـنة1954 بين مصر وبريطانيا والتى نسفها عدوان بريطانيـا ، أقـول كان أكثر ما تتميز به هذه المرحلة هو الآمال العراض .

وكما قلت لك يا بنى كانت تصرفات السـفير الأمريكـى كافرى تدعو الى الثقة ، لذلك بدأنا أول تجربة معه وكانـت خاصة بتسليح الجيش المصرى الذى كان يفتقر الى السلاح بل الى كل شىء ، فلقد كانت السياسة المرسومة بعد حـرب فلسطين سنة 1948 هى أن يظل الجيش مفتقرا الى السلاح والذخيرة والعتاد ، وما دام متعهد توريـد الاسـلحة هـى بريطانيا فان ذلك كان كفيلا باحكام السيطرة على هذا الجيش وبالتالى على الشعب الذى لن يجد له حماية فى جيشه وبذلك لن تقوم فى مصر دولة لأن أولى مقومات الدولـة هـى أن يكون لها جيش قوى يستطيع أن يحميها من أية سـيطرة او تدخل يفرضان عليها من الخارج.

وأعود على الطريقة الامريكية

وحين طلبنا من المستر كافرى الاتصال بحكومته بـشأن تسليح الجيش المصرى من حر مالنـا جـاء رد الحكومـة الامريكية فى صورة. نسخة مما يـسمى " ميثـاق الامـن التبادل " وهو عبارة عن اتفاقية قالوا لنـا انـه بمجـرد أن

نوقعها فاننا لن نكون بحاجة ألى أن ندفع مليما واحــدا بــل ستتدفق الأسلحة على الجيش المصرى مجانا ، هذا بخــلاف المعونات الأخرى ، وقد كان العرض على الطريقة الامريكية محاطا بالتشويق والدعاية المغرية .. فتارة يقولون ان أكثر من أربعين دولة تنعم بخيرات هذا الاتفاق اليوم وتسبح فى بحبوحة الرفاهية ،و تارة يقولون ولماذا تخصــصون مــن ميزانيتكم أية مبالغ تنفقونها على التسليح فى الوقت الــذى يمكنكم فيه أن تحصلوا على السلح بالمجــان . بــل علــى أحدث الأسلحة أبضا وهكذا . فقط وقعــوا وبعــدها يكــون الطوفان .

وقرأنا الاتفاقية، أى اتفاقية الأمن المتبادل هذه ، ظاهرها برىء براءة عجيبة، أما باطنها فقد أخذ ينكشف لنا ســطرا بعد سطر .

ان بعض ما فى هذه الاتفاقية هو ان الجيش المــصرى سيكون خاضعا لاشراف بعثــة أمريكيــة عــسكرية تتــولى التدريب وتتولى التنسيق وبذل النــصيحة والمــساعدة فــى وضع الخطط اى كما يقول المثل البلدى : كأننا يــا بــدر لا رحنا ولا جينا ،

بعثة عسكرية

والى سنة 1947 كانت توجد فى مصر بعثــة عــسكرية بريطانية تقوم بنفس الواجبات التى وردت فى اختــصاصات البعثة العسكرية الامريكية الموعودة ، فماذا كانت النتيجة؟

لقد كانت هذه البعثة العسكرية البريطانية أخطـر نكبـة حلت بالجيش المصرى ، فقد كان أفرأد هذه البعثة يمنعـون السلاح عمدا عن الجيش المصرى تنفيـذا لـسياسة بلـدهم بريطانيا الاستعمارية ، وكان أفراد هذه البعثـة يتجسـسون على الضباط المصريين لحساب بريطانيا بل ان الاسلحة التى كان يشتريها أفراد هذه البعثة لحساب الجيش المصرى على انها أسلحة جديدة .. كانت فى الواقع أسلحة مستعملة فـرغ انجيش البريطانى من التمرن عليها . ولقـد تلقينـا ونحـن ضباط صغار بعض هذه الاسلحة وفتحنا صناديقها بأنفـسنا على أنها أسلحة جديدة ثم أثبتنا فى محاضر التـسليم أنهـا مستعملة ، لانها كانت فعلا أكثر من مستعملة .

وكان أفراد هذه البعثة حلقة من أحكم حلقات الاسـتعمار البريطانى فى مصر فكانوا يطارون كل ضابط مصرى يـشتم منه أنه يحس ببلده أو يعرف لوطنه كرامة أو عزة .

والآن يطلب منا ان نستقدم بعثة عسكرية أمريكية بعـد أن تخلصنا من كابوس البعثة البريطانية الله .. الله . .

لقد ظننا اول الامر ان هذا العرض ليس جـديا بعـد أن قرأنا تفاصيله ، ولكن اتضح أن أمريكا تعرض هذا العـرض بصفة جدية مما زاد فى دهشتنا وعجبنا .

ان هذا العرض ليسى الا استعمارا جديدا أنكى وأشد مما عانيناه على يد بريطانيا ، فقد كنا مع بريطانيا نـدفع ثمـن السلاح رغم كل ألاعيبها ، ولكن أمريكا لا تريد ثمنا للسلاح

وانما ستتقاضى الثمن من سيادتنا وكرامتنا، ستتقاضى الثمن سيطرة كاملة على جيشنا وبالتالى على كياننا .

رفضنا العرض

ورفضنا هذا العرض رفضا باتا

ولما سأل الأمريكان عن اسباب الرفض حكينا لهم حكايه البعثة العسكرية البريطانية وقلنا لهم : لن نكون سذجا أو بلهاء مرة أخرى ، ونحن نريد أن نشترى السلاح منكم شراء حرا ولا نريد هبة من أحد ولا نريد أن يكون لأى انسان فضل علينا .

ودهشنا أكثر وأكثر يا بنى حينما وجدنا الامريكان لايقتنعون بمنطقنا هذا ، بل يكادون يستنكرونه . .

وهنا تدخل الرجل كافرى مرة أخرى لينقذ الموقف ، فقد احس أننا نحس مرارة وخيبة من منطق امريكا الذى ، لا يختلف عن منطق بريطانيا ، الا فى انه أشد حمقا وتجاهلا لأمانينا وحريتنا ، وكان الرجل يريدنا أن نفهم أن هذه ليست سياسة واشنطن وانما هى سياسة الموظفين الذين يخضعون للروتين وعلى هذا الاساس طلب كافرى مهلة لكى يعود الى واشنطن مرة أخرى .

ويظهر أن الرجل استخدم كل نفوذه محاولا افهام واشنطن الحقائق فجاء الرد أن وافقت أمريكا على صفقة

أسلحة للبوليس المصرى كان ثمنها مدفوعا من قبــل قيــام الثورة بوساطة حكومات ما بعد 26 يناير سنة 1952 لكــى يسكتوا بها الشعب ، وقالوا لنا وقتها ان هذه الصفقة عربون عن حسن نوايا أمريكا وان موضوع تسليح الجيش المصرى هو قيد البحث لدى المسئولين هناك .. أو بمعنى آخر سياسة الاسبرين .. أى اعطاء قرص من الاسبرين للمريض علــى أمل تهدئته فلا يقطع الامل من طبيبه الجاهل .

أخطر أسلحة الاستعمار

عندما قامت الثورة كانت البلاد قد أشرفت فعــلا علــى الافلاس أقتصاديا . ..

فالاحتياطى كله كان قد نفد منذ وقت طويل .

وأصبحت خزينة الدولة مدينة بأكثر من خمسة و أربعين مليونا من الجنيهات .

وكان رصيد البلاد من الذهب والعملات الخارجيــة فــى نزول مستمر.

كل هذا بخلاف ما أشاعه الأجانب من ذعر فى الــسوق المصرية ، نتيجة لأنسحاب الكثيــر مــن رءوس الامــوال الأجنبية بعد حريق القاهرة فى 26 يناير 1952 .

وهنا يجب أن أقف قليلا يا بنى لكى أذكر لك أن أقتصادنا كله الى ساعة بدء العدوان على مصر فى 29 أكتوبر ســنة 1956 كان فى أيدى الأجانــب ســواء مــنهم الفرنــسيون والبريطانيون ، أو اليهود من مختلف الجنسيات الاخرى .

وكانت هذه السيطرة على اقتصادنا ، هى أفتك الأسـلحه التى يمارسها الاستعمار فى مصر، لخنق كـل اتجـاه نحـو التحرر أو الاستقلال بتجويع الشعب ، وافقاره ، واذلاله .

واستخدمت بريطانميا هذا السلاح فى مصر بنجاح طيله أربعة وسبعين عاما .

وشهدنا نحن فى ديسمبر سنة 1952 ــ ولم يكـن قـد مضى على قيام الثورة الا حوالى الستة أشهر ــ أقول شهدنا فى ذلك الوقت أول تجربة بريطانية لاذلال مصر بعد الثـورة وذلك عن طريق استخدام سلاح الضغط الأقتصادى .. يوم أن أمتنعت بريطانيا عن شراء حصتها فى محـصول القطـن .. وكانت هى العميل الاول بالنسبة للسوق المصرية ، بحجة أن لدى الغزالين البريطانيين فائضا من القطن المصرى .

وبعنا قطننا للآخرين

وكان هدف بريطانيا فى ذلك الوقت، هو ضرب الأقتصاد المصرى ضربة قاتلة .. بحرمان الخزينـة المـصرية مـن المورد الأساسى للعملة الأجنبية وبالتالى حرمان الشمب من الحصول على حاجاته الضرورية.. فاما أن تقوم ثورة جديدة ، وما أن تسلم الثورة. لبريطانيا فيما تريد.. كما كان يـسلم لها الملك .. وكما كان يسلم لها الزعماء والأحزاب ..

ولكننا لم نسلم لبريطانيا يابنى .. بل على العكـس مـن ذلك ، حررنا سوقنا القطنية من احتكار بريطانيـا وحلفائهـا من المستعمرين .

وبيع قطننا فى تلك السنة

ولا يزال يباع الى اليوم لكل من يدفع ثمنه بعد أن كـان محرما على مصر أن تبيع قطنها لغير بريطانيا وحلفائها .

ودخلت دول أوربا الاشتراكية واشترت .

ودخلت الصين واشترت .

ولقد كانت هذه التجربة ، ولما يمض على الثورة أشهر قليلة مبعث دراسة مستفيضة منا ... خاصة وان بريطاتيـا كانت تسيطرهى وفرنسا حليفتها على اقتصادنا سيطرة تامة عن طريق البنوك والمؤسسات التجارية .

وأسوا من ذلك كله ، ان بريطانيا وفرنـسا خلفتـا فـى مصر طبقة من رجال الاقتصاد من المصريين ، الذين باعوا شرفهم وكرامتهم ووطنهم لقـاء مكافـآت مجـالس الادارة واصبحوا عملاء للأجنبى فى سوقنا الأقتصادية ...

فاذا ما أرادت بريطانيا ان تحقق كسبا سياسيا ، أصدرت أوامرها الى هؤلاء العملاء .

فتبدأ البنوك فى التعسف مع التجار فى فتح الأعتمـادات مثلا وتخرج الشائعات قائلة ان الاقتصاد المصرى فى خطر .

وان الازمة تأخذ بخناق الناس .

وان التجارة توشك على الافلاس .

وهم هم الذين صنعوا كل هذا عن طريق البنـوك التـى كانوا يسيطرون عليها .. وعلى كل المعاملات .

من اجل ذلك اتجهنا يا بنى من أول لحظة إلى بناء اقتصاد البلاد بناء سليما على أسس صحيحة مدروسة .

وأخذنا نستعين برأى كل من له راى فى الاقتصاد .. حتى نستطيع ان نضع خطة لهذه المعركة التى اتضح انها أخطر معركة سنخوضها من أجل استخلاص استقلال البلاد..

فالحرب فى هذا الميدان خطرة . . لانها تتعلق بلقمة العيش التى يمسك بها كل مواطن رمقه . . انها معركة رغيف العيش الذى يريد أن يحصل عليه كل مواطن من غير تهديد أو مساومة فى الوقت الذى يسيطر المستعمر وأعوانه على هذا الرغيف ويهددون بحرماننا منه كل مطلع يوم جديد .

وكان أول ما انتئهت اليه تلك الدراسات هو ضرورة توافر رأس المال الذى يمكن عن طريق استثماره قيام الصناعات التى توفر للبلاد حاجاتها ، وتستوعب العمال .. وتوفر الرخاء .

وبدأت دراسة واسعة لوضع مشروعات السنوات الخمس.

ولم نسمع بخبير فى أية بلد الا استقدمناه لكى نفيد بخبرته .

وبقيت مشكلة رأس المال .. وهى مشكلة ذات شقين :

الشق الأول منها محلى وهو فى يد البنوك التى يـسيطر عليها الاستعمار، وأعوانه ، ورجال الأقتصاد ممـن بـاعوا انفسهم للشيطان . . فقد تعاون كل هولاء على اشاعة جـو من عدم الثقة فى الـسوق المـصرية .. فـأحجم أصـحاب رءوس الأمرال من المواطنين انتظارا منهم لما ينتهى اليـه الحال ، اى الى أن ترضى بريطانيا عن الثورة .

أما ألشق الثانى منها وهو خـارجى فيتعلـق بـضرورة دخول رءوس أموال أجنبية الى جانب رأس المال المصرى ، حتى يمكن توافر العملة الأجنبية التى لا يمكن استيراد الآلات والعدد اللازمة بدونها .. وهذه فى يد المستعمرين انفسهم .

الوعود والأمانى

وكان طبيعيا ألا نفكر فى بريطانيا ونحن ندرس مـشكله رأس المال الأجنبى لأسباب كثيرة :

منها الخلاف السياسى الخـاص بجـلاء جنودهـا مـن أرضنا.. وهو ما كنا نصر عليه فى عنف وتصميم .

ومنها أن بريطانيا خرجت من الحرب العالميـة التانيـة على شفا الأفلاس وانها تحتاج الى وقت طويل جـدا لكـى تستطيع أن تشفى من جراحها . وتسترد أنفاسها فى الميدان الأقتصادى .

لذلك فكرنا فى الأستعانة بأمريكا ، خاصة وأن الوعـود والأمانى العذاب كانت تنهال علينا عن طريق سفارتها .

وعود وأمانى كانت تشمل كل ما يخطر على بال البشر .

وأمريكا لم تخرج كبريطانيا من الحرب مفلسة ، بل على العكس من ذلك خرجت مزدهرة ممتلئة .. وتكدست فيها رءوس الأموال التى تفيض عن حاجتها للأستثمار والرخاء .

وبمنتهى حسن النية أبلغنا أمريكا اننا نرحب برءوس الأموال الأمريكية التى تريد أن تدخل مصر لكى تساهم فى رخاء الشعب ، بشرط أن تخضع للقوانين المصرية شأنها فى ذلك شأن رأس المال المصرى .

وأعتقدنا أن الوعود والامانى لابد أن تفعل فعلها هذه المرة خاصة وأن الأمريكى بطبعه رجل بيع ، وشراء ، ودولار، وفرصة الإستثمار التى سيتيحها بناء مصر من جديد فرصة لا تعوض للكسب الحلال .

وجاء الرد من واشنطن .

جاء الرد من واشنطن هذه المرة فى صورة اتفاقية مطبوعة وبنفس الاسلوب الذى جاءت به اتفاقية الأمن المتبادل التى حكيت لك عنها يا بنى.

أى بطريقة مشوقة .. مغرية .

فهذه الاتفاقية الخاصة براس المال ، يتمتع بخيرها أثنان وعشرون دولة وقعوها... فتدفقت عليهم رءوس الاموال من غير حساب .

وهذه الشعوب تنعم اليوم بالرخاء والرفاهية .

أنظروا

هذه هى أسماء الدول التى تنعم اليوم بالجنة والترف .. بعد الفقر والأملاق . . وقععوها لكى تكون الدولة الثالثة والعشرين .

لم نطلب أموالا من الحكومة الامريكية

وقرأنا اتفاقية راس المال هذه ، فى عناية وحرص شديدين . وكلما مضى منه سطر ، التهمنا السطر الذى يليه . . لكى نعثر على الجنة الموعودة . . والنعيم المقيم .

وكان أول ما لفت نظرنا فى هذا الأمر ، هو أننا لا نريد أموالا من حكومة أمريكا ، حتى تطلب منا أن نوقع معها اتفاقية .

وأنما نحن قلنا أننا نرحب بكل رأس مال أجنبى .. لأى فرد سواء كان أمريكيا ، أو من أية جنسية أخرى .. على أساس أن يفيد ويستفيد .. ولا دخل لنا مع الحكومات .

ولكن.. هذه الانفاقية ، لم تلبث ان كشفت عن وجه أمريكا ان هذه الاتفاقية تنص على ان رأس المال الأمريكى الخاص ، الذى يأتى إلى مصر، تضمنه الحكومة الامريكية لصاحبه . نظير فائدة معلومة بينها وبينه .

ومن أجل ذلك، فانه اذا ما اراد صاحب رأس المال الامريكىهذا أن ينسحب من مصر لأى سبب ، أو اذا طبقت عليه الكومة المصرية في قوانينها ، شأنه شأن راس المال المصرى ، فان الحكومة الأمريكية تحل محله كصاحبة لرأس المال .

أو بمعنى آخر .

دخل رأس المال باسم " الخواجة فلأن " دخولا تجاريا بريئا

فلا يلبث أن يخرج الخواجة فلان .

ويصبح رأس المال التجارى البرىء ملكا للحكومة الأمريكية والسياسة الأمريكية .

ويحميه الأسطول السادس الأمريكى اذا كان فى البحر المتوسط .

أو السابع اذا كان فى الشرق الاقصى . . الخ .

تبخرت الآمال

ورفضنا هذه الاتفاقية أيضا، بأشد مما رفضنا اتفاقية الامن المتبادل ، لانها في جوهرها، ابشع من أى استعمار ظهر على وجه الارض ، إلى يومنا هذا .

ومرة اخرى .. انفضحت الوعود .. وانكشفت الامانى .. وتبخرت الامال .

وكل هذا ، ولم يمض على قيام الثورة ستة شهور.

وهكذا امسكنا بمفتاح السياسة الامريكية يا بنى .. منذ الشهور الأولى لقيام الثورة .. ولكننا كنا نأمل دائما ان يأتى اليوم الذى تفهم فيه أمريكا، انها على خطا .. اذا كانت حقا تؤمن بحق تقرير المصير للشعوب . وكنا نأمل ايضا ان

تفهم امريكا لماذا رفضنا امضاء اتفاقية الامن المتبادل ، مع ان جيشنا فى مسيس الحاجة للسلاح .

ولماذا رفضنا اتفاقيـــة رأس المـــال ، وقـــت أن كـــان اقتصادنا يترنح من فرط الأعياء .

ولكن امريكا لم تفهم الى هذه اللحظة التى اكتب لك فيها يابنى .

بعد ان فشل العدوان .

وبعد ان وقع تطور تاريخى شغل العالم كلـــه ، بحيـــث أصبح من المستحيل قهر ارادة الشعوب او خداعها بطـــرق جديدة . . هى في حقيقتها افتك الوان الأستعمار .

الأستعمار يبدا ببعثة عسكرية

فاتفاقية الامن المتبادل التى تقـــدمها أمريكـــا للـــشعوب البريئة حينما تسعى هذه الشعوب الى طلب العون لكى تحافظ على كيانها ، ليست الا استعمارا مباشرا صريحا .

يبـــدا بالبعثـــة العـــسكرية الأمريكيـــة ... وامتيازاتهـــا وسيطرتها وينتهى بالسيطرة الكاملة علـــى مقـــدرات تلـــك الشعوب ، مصا ئرها، وأرضها ، وسمائها .

وكان من نتيجة ذلك ، أن كل بلد قبلت ، او وقعت هـــذه الأتفاقية.. تعانى اليوم فراغا خطيرا فـــى داخلهـــا ، بـــين الشعوب والحكام ، ولا بد ان يأتى اليوم الذى تنتصر فيـــه

ارادة الشعوب ، فتملأ الفراغ .. لان الشعوب هى الباقية . . أما الحكام فهم بشر وإلى زوال .

واتفاقية راس المال التــى تقــدمها أمريكــا للــشعوب الصغيرة الساذجة ، التى تريد أن تبنى أقتصادياتها بعرقهــا وكفاحها ، مستغلة فى ذلك فقر هذه الــشعوب وحاجتهــا ، ليست هى الأخرى إلا استعمارا . . أخبث وأبشع مــن كــل ماعرفه العالم طوال القرون الماضية على يد حلفاء أمريكا .

ونحن نرى اليوم في عام 1957 كيف ان الــدول التــى وقعت فى فخ هذه الاتفاقية ، تعــانى التــضخم المــروع .. وتواجه أكثر من ذلك كارثة محققة لأن أقتصادياتها أصــبحت تحت رحمة أمريكا . . وأصــبحت تعــيش علــى التــسول والاستجداء .

وكما قلت لك يابنى فان هــذه الثــورة تــؤمن بالمثــل وتقدس القيم .

لذلك كان عمك جمال صريحا دائما فى شرح وجهــة ، نظرنا لأمريكا فى كل هذه الأمور ، ولعل هذا هو ما أحفظها عليه .

فالسياسة الامريكية كالــسياسة البريطانيــة . تــؤمن بالمساومة.. وعمك جمال يرفض المساومة كخلــق وكمبــدأ على السواء ، لأن ما يراد المساومة عليه ، هو من صــميم مصالحنا وشرفنا وسيادتنا .

وبرغم رفضنا للاتفاقيتان وتفسيرنا الصريح لهما ، فان أمريكا لم تيأس بل عادت الى الابتسام مرة أخرى بـــل الـــى آمال أكثر أشراقا مما بدأت به هذه المرحلة .

أتفاقية السودان

كنا قد عقدنا اتفاقية السودان مع بريطانيا فـــى مـــارس سنة

1952 وكان السودان هو الصخرة التى تتحطم عليها كل مفاوضات سابقة بين مصر وبريطانيا بـــشأن جـــلاء قـــوات الأخيرة عن أرض مصر .

وهكذا كان يقول رجال السياسة فى مصر .

وهكذا كانت تحتج بريطانيا دائما لكى يـــستمر أحتلالهـــا لمصر أما وقد عقدت اتفاقية السودان فقد زالت أكبر عقبـــة من الطريق .. وطلبنا من بريطانيا الدخول فى مفاوضات من أجل الجلاء .

وشكل وفد المفاوضة .. وبدأت المفاوضات .

كان واضحا من أول لحظـــة أن بريطانيـــا كعادتهـــا . . تساوم وتلف .. وتدور من أجل أبقاء مصر تحت سيطرتها .

وبقيت أمريكا خارج الحلقة لكى تقوم بدور الوسيط .

ولابد لى ان أعود فأقرر هنا أن كافرى سفير أمريكا قام بدور مشرف كرجل يؤمن بالعدالة وبحقوق الشعوب .

وأستطاع هذا الرجل أن يزيل من نفوسنا الى حـد مـا مأأحسناه من مرارة عقب اكتشافنا لنوايا أمريكا بعد حكايـة الاتفاقيتين اللتين رفضناهما . . ولكن واشنطن ظلت مخلصة لأهدافها التى تحويها تلكما الاتفاقيتين . . بل أسوا من ذلـك أن أتضح لنا أن واشنطن تؤمن بوسائلها وأهدافها إلى حـد السفه والغرور .

عقلية ساسة واشنطن

لقد كان يسيطر على عقلية ساسـة واشـنطن ورجـال الحرب فيها بعد الحرب الثانية ــ ولا يزال الى يومنا هذا ــ حلم السيطرة على الشرق الاوسط واخضاعه لاحلاف الغرب لأن ذلك يشكل حلقة من حلقات الحصار الذى تفننت أمريكـا وحلفاؤها فى فرضه على روسيا والكتلة الاشـتراكية بعـد انهاء الحرب العالمية الثانية .

والعجيب يا بنى أن أمريكا وحلفاءها خاضوا هذه الحرب جنبا الى جنب مع روسيا ضد عدو مشترك هـو المحـور؟ الذى كان يتكون من ألمانيا الهتلرية وايطاليا الفاشسستية ، ولكنه ما أن انتهت تلك الحرب حتى انقلب الحلفاء الى أعداء ، وأنقسم العالم إلى كتلتين ، شرقية وغربية : الشرقية هى روسيا وحلفاؤها من الكتلة الأشتراكية ، والغربية هى أمريكا وحلفاؤها من الكتلة الرأسمالية .

ومن هنا ينشأ جوهر مشكلتنا مع امريكا وحلفائها الذين لم يتورعوا عن أن يشنوا هجوما مـسلحا علـى مـصر ،

ويقتلوا النساء والأطفال ، ويهدموا البيوت لأننا نصر على أن لا نتبع الغرب أو الشرق .

عجلة أمريكا وحلفائها

من أجل هذا ظلت امريكا تمنى نفسها طويلا بربطنا الى عجلتها وعجلة حلفائها بدلا من أن نسير فيما أرتضيناه ، لانفسنا من حياد بين الكتلتين ، فلما فشلت تأمرت مع حلفائها لتجويع شعب مصر بسحب معونة السد العالى ظنا منها إن ذلك سيخضع هذا الشعب فيركع لها على ركبتيه .

ومن اجل هذا أيضا تطلق أمريكا صحافتها اليوم فى سعار مجنون لكى تجعل من عمك جمال ديكتاتورا متعنتا لأنه يتمسك بحقوق شعبه وبكرامته ويسيادته ، ولكى توهم العالم أن مصر الدولة الصغيرة الشابة انما هى غول سيفتك بأمن العالم وسلامته .

الفصل السابع

- الخلاف بيننا وبين الغرب
- قالوا عمك جمال ديكتاتور!
- العدوان السلمى
- المرحلة الثانية : مرحلة التضليل

الخلاف بيننا وبين الغرب

وأعود الى حديثى فأقول ، ان أول خلاف جوهرى وقع بيننا وبين الغرب بزعامة أمريكا كان على نظرية الأحلاف ، فأمريكا كانت قد اعدت حلقات من الأحلاف تطوق بها روسيا حلقة واحدة هى حلقة الشرق الأوسط ، لذلك عرضت علينـــا اول الامر حكاية الأمن المتبادل التى تستطيع بوســاطتها أن تسيطر على قواتنا المسلحة ، فلما رفــضناها رفــضا باتــا اصبح لابد من طريق أخر ..

وظهرت نظرية الدفاع عن الشرق الأوسط . .

بدأت أمريكا بحكاية " الخطر الشيوعى " الـــداهم الـــذى يهدد المنطقة.

وبدا واضحا لنا يابنى بعد حكاية الإتفاقيتين اللتين حكيت لك عنهما وهما " اتفاقية الامن المتبادله " و " أتفاقيـــة راس المال " أن السياسة الأمريكية ليست لله ، ولا لحـــق تقريـــر المصير، ولا لنصرة الشعوب الصغيرة كما تقول الدعاية ..

وهى ليست ايضا سياسة برينة مستقيمة مجـــردة مـــن الاهداف والغايات كما يحاول الدبلوماســيون الامريكـــان ان يقنعوا الناس دائما على طريقة " الهليهليـــه " الأمريكانيـــة وأنما هى سياسة

ذات أهداف محددذ مرســومة وغايـــات أشـــد جـــشعا وأكثرفتكا من كل ما أستنبطه الأستعمار فى القرون الماضية.

فالاله فى أمريكا ليسى هو الله الذى عرفتنا بـــه الكتـــب السماوية وارشدنا اليه الأنبياء ..

وانما الأله فى أمريكا هو الدولار ..

هو الذى يعز وهو الذى يذل ، هو الذى يمنح ، وهوالذى يمنع . هو مصدر كل القيم خلقية كانـــت أو بـــشرية هـــو المسير لهذا الكون . وهو المنظم لفلك هذه الحيـــاه . هـــو الظاهر فوق الخلق .. والذى تذل له رقاب البشر وينحنـــى أمام جلاله دهاقين السياسه وقأدة الشعوب، هو الذى يأخـــذ بريقه بالابصار ويسيل له لعلب الناس فى كل الأمصار ، هو النور اذا وجد ، والظلمة أذا اختفـــى ، هـــو اصـــل الحيـــاه ومنتهى آمال الكون .. هو الذى يهب الحماية والاســـتقلال ، وكل ما عداه ذل واستعباد..

هو الدولار لا اله الا هو فلتخضع له العباد ولتسجد لـــه الشعوب.

ديانة أمريكا الداخلية

وكان يمكن إن يكون الخطب يسيرا أذا احتفظت أمريكـــا لنفسها بهذه الديانة ، وذلك الاله داخل حدودها ، ولكن الإمر تعدى ذلك الى الخروج بهذه الديانة الى العالم ، لا للتبـــشير بها ، وإنما لارغام الناس بكل الطرق على اعتناقها والايمان بها ، والا كان التهديد ، وكان الوعيد . وتحركات الإسطول ذى البأس الشديد .

انتى أكتب لك يابنى هذد الكلمات فى مــستهل 1957 أى

بعد

حوالى خمس سنوات من الوقت الذى وقعت فيه مسألة أتفاقيتى الامن المتبادل ، ورأس المال ، وخلال هذه السنوات الخمس وقعت تطورات هائلة أحدثت تغييرا شاملا فى تاريخ البشرية .

ومع ذلك فالسياسة الامريكية ، التى قلت لك : أن لها أهدأفا محددة مرسومة . مازالت فى سنة 1957 كما كانت فى سنة1952 بل زادت سوءا وتبجحا بعد ان كانت فى الماضى تصطنع بعض الحياء. .

ويقينى يابنى ان ذلك يرجع الى عدة اسباب منها :

أولا : أن الأله الذى أتخذته أمريكا لنفسها أله ابكم وأعمى وأصم وهو الدولار ، فبينما يغفر الالة الذى نعرفه نحن فى بقية انحاء العالم ، فان أله أمريكا ، لا يرحم لانه من مادة عناصرهاالجشع والطمع والسيطرة.

وبينما يحب الأله .. الذى تعرفه البشرية جمعاء لا فرق بين أبيض ولا أحمر ولا أسود ولا أصفر .

نرى أله أمريكا لا يحب إلا ذاته ويعتقد أن البشر قد خلقوا للتزلف له والمهانة بين يديه .

ولعل هذا يفسر الغرور الذى تتسم به تصرفات أمريكا فى السياسة بل وفى أبسط مظاهر الحياة ، وكأن الله لم يخلق شعبا أوتى من كل شىء إلا هذا الشعب .

اله أمريكا هو اله الصهيونية

ومن هذه الاسباب أيضا سيطرة الـصهيونية العالميـة المطلقة على كل شىء فى أمريكا .

وهذا الامر لم يأت اعتباطا ولا من قبيل المصادفة ، فأله الصهيونية هو نفس أله أمريكا .. هو الدولار ..

وخطط أمريكا هى نفس خطط الصهيونية التى تهدف الى السيطرة على العالم ..

وضمير امريكـا مـشتق ــ للأسـف ــ مـن ضـمير الصهيونية الـذى لا يعتـرف بالعدالـة ، ولا بـالقيم ، ولا بالحقوق .

فالعدالة فى نظر إمريكا والصهيونية تعنى ان كل جريمة ترتكب لمصلحة امريكا او الصهيونية هى عدل وحق ، وكل فضيلة على وجه الارض لا تعود على إمريكا والـصهيونية بالمغانم والمكاسب فهى رذيلة مذمومـة مهمـا كـان راى الشرائع والاديان .

أن هذه النقطة بالذات ، وهى سيطرة الصهيونية علـى أمريكا تشكل المحور الاساسى لعلاقاتنا مع امريكا ، وتفـسر الكثير من تصرفات أمريكا المتناقضه والتى ستظل متناقضة وعمياء حتى يكتب إلهنا الحقيقى لأمريكا الخلاص أن كـان لها خلاص .

لقد أعترف " ترومان " رئيس امريكا بقيام دولة اسرائيل من قبل ان تعلن العصابة الصهيونية فى تل أبيـب قيامهـا، وخرجت صحافة العالم فى اليوم التالى تحمل صورة رئـيس

أمريكا وهو بحتضن العلم الاسرائيلى اعلانــا للعــالم بــأن الدولة الجديدة ربيبة أمريك ا.. ومن صنع يديها.. وفلذة من فلذات كبدها .

ولم تحفل أمريكا ان يكون قيام هذه الدولة علـــى أرض مغتصبة.. وحقوق مسلوبة . . واشلاء وجمـــاجم ومـــذابح يندى لها جبين البشرية ، بل على العكس من ذلـــك لازالـــت أمريكا الى هذه اللحظة يابنى تغدقت على أسرائيل كل شىء حتى بعد ان دمغها العالم كله بالعدوان والخيانة والغدر، فقد كافأتها أمريكا على العدوان باعتماد المساعدات جهارا نهارا لكى يستقيم أقتصاد إسرائيل الذى حطمه العدوان ، وكافأتها برسالات الاغذية والقمح التى أرسلت الىأسرائيل مجانا فى الوقت الذى رفضت فيه أمريكا نفسها أن تبيع مـــصر قمحـــا بحر مالها ، وأدوية كان الشعب فى حاجة اليها ، ومصر هى المعتدى عليها وإسرائيل هى المعتدية .

استنكر الناس حتى الامريكان

وقد تعجب يا بنى حين تقرأ هذه الكلمات من هذا المنطق الأمريكى السخيف المغرور ، ولكن هذه هى الحقيقـــة التـــى نعيش فيها اليوم ، وامريكا لا زالت تعتقد أنهـــا تـــستطيع ان تشترى كل شىء بالدولار حتى الضمائر والخلق والكرامات ، وسترى يا بنى أنه خلال المراحل الثمانى التـــى أروى لـــك قصتها والتى بدات بمرحلة الآمال ، أقول سترى يا ينـــى ان هذا المنطق الأمريكى المقلوب المغرور ظل يوجـــه سياســـة أمريكا فى كل مرحلة منها إلى ان انتهى بأمريكا الى نوع من الهستريا جعلها تخرف فتتهم الوطنية بأنها شيوعية دوليـــة

وترسل بأكبر حاملة طائرات فى العالم إلى البحر الابيض المتوسط لكى تؤكد للدول العربية الصغيرة قوتها وبأسها فى مشهد أضحك الناس ، واستنكره العالم بما فيه بعض الامريكيين انفسهم ..

ولنعد يا بنى الى مرحلة الآمال:

فانه بالرغم من المعانى التى خرجنا بها من قصة اتفاقيتى الإمن المتبادل ، ورأس المال ، فاننا لم نفقد الأمل فى امريكا ، وكنا قد أنتقلنا الى سنة 1953 ، وقلنا لعل أمريكا تريد ان تجس . نبضنا بهذه الاتفاقيات كما فعلت مع غيرنا ولعلها بمد أن تلقت ردنا ، بالرفض ان تعود إلى رشدها وتعرف أننا لن نقيل أية سيطرة أجنبية تحت اسم آو ستار، وان الدولار بالنسبة لنا لا يعنى اكثر من انه دولار ، ولن يكون الها لنا نعبده من دونه ال له.

الكشف الذى طلبته أمريكا

ثم حدثت مفاجأة جديدة فقد أرسلت الحكومة الأمريكية تطلب منا أن نوافيها بكشوفات الاسلحة والمعدات التى نريد شراها لاستكمال تسليح الجيش ، واعتقدنا ان تغيرا ، لابد قد حدث فى العقلية الأمريكية معناه أن أمريكا بدأت تتفهم موقفنا وأنها تريد صداقتنا ، وأعددنا الكشوف فعلا وكنا قد تعبنا من فبل فى اقناع الامريكان اننا لانريد السلاح لنعتدى به على احد بل لندافع به عن انفسنا ، فنحن نريد ان نبنى بلدنا ولن نستطيع أبدا أن نبدأ البناء والتهديد قائم على حدودنا . وفى قلب وطننا العربى ، وأرسلنا هذه الكشوف

الى الحكومة الأمريكية وجلسنا نمنى أنفسنا بالآمال من جديد .

ولم يمضى وقت طويل حتى جاء رد الحكومة الأمريكية .. لقد كان هذا الرد ايذانا ببدء فترة من فترات المطاولة وكسب الوقت من جانب أمريكا حتى تعدل خططتها لكى تصل إلى نفس أهدافها المرسومة ، ولكى نظل نحن فى الحلم اللذيذ فلا نفيق أبدا حتى لا ندرك الحقيقة .

فماذا قالت الحكومة الأمريكية فى ردها ؟

جاء رد الحكومة الأمربكية يا بنى يقول انها تلقت كشوفات السلاح المطلوبة للقوات المسلحة المصرية ، وأنها ــ أى الحكومة الامريكية ــ قد اعدت فعلا بعض هذه الأسلحة للشحن . . فانها ترى أن تقوم بمثة من الضباط المصريين لمعاينة هذه ، الشحنات قبل شحنها فى أمريكا ، ومن جهة أخرى.. فان هذه البعثة تستطيع أت تعاين ايضا مختنف الأنواع الآخرى من الأسلحة الأمريكية .. التى لم تعد بعد للشحن .. وأية أسلحه أخرى قد تكون ذات فائدة ، ولم ترد فى الكشوف المصرية .

ولم نضيع دقيقة واحدة بعد وصول هذا الرد . فقد عينت القيادة العامة أفراد البعثة المصرية .. وزودتها بكافة التعليمات اللازمة ، ومن جهة اخرى بدات السلطات المصرية فى دراسة التفاصيل المالية الخاصة بهذه الصفقة مع السفارة الأمريكية . . فالصفقة لم تكون معونة ولاهبة ..

وانما كان الاتفاق على أن تكون صفقة تجارية بحتة لا دخل فيها للسياسة ولا للقيود او المساومات .

سفر البمثة

وسافرت البعثة الى أمريكا ، وفى كل يوم كانـــا نترقـــب إنباءها فى شوق ولهـــفة . . برغم انه لم يكن قـــد مـــضى على قيام الثورة الا شـــهور ... وكـــان الوضـــع الـــداخلى يستحوذ على كل اهتمامنا واوقتنا. ولكننا كنا نؤمن من اول يوم أن أى بناء فى الداخل سوف يكون بناء على الرمال اذا لم يكن للشعب جيش يستطيع ان يدفع عنـــه العـــدوان مـــن الخارج .. وعدونا ليس بعيدا عنا . وأنما يقبع على حدودنا ويتربص بنا ليل نهار ، بل أن هذا العدو يتلقى كـــل يـــوم طوفانا من المعونات . . تارة على شكل امـــوال ، وتـــارة أخرى على شكل سلاح وعتاد .. لكى يكبر وينمو ويفـــرض وجوده بالحرب والعدوان .

مفاجأة

وبينما نحن ننتظر البعثة التى سافرت لكى تعاين الاسلحة كما طلبت أمريكا ، فوجئنا فى يوم بعودتها من امريكـــا ثـــم جلسنا نستمع الى تقرير أعضائه .

فلم يكن هناك سلاح معد للشحن.

والذى سمح للبعثة ان تعاينه لم يكـــن الا أنواعـــا مـــن الاسلحة الصغيرة التى لم نطلبها ولسنا فى حاجة اليها البتة.

وأكثر من ذلك ، فان البعثة أوضحت كيف أهملت من جانب الحكومة الامريكية أهمالا تاما ، وكيف ان المسئولين الامريكيين الذين احتكوا يأفراد البعثة فى الحفلات الخاصة كانوا لا يعلمون شيئا عن هذا الموضوع ، بل اكثرمن ذلك أحس أفراد البعثة بحذر شديد من كل من قابلوه من المسئولين الامريكيين ، ولما سألوا عن الكشوفات المصرية التى أرسلت للحكومة الأمريكية كطلبها ، لم يرد عليهم احد بخير أو بشر.. وتركوا عاطلين فى واشنطن لا أحد يتصل بهم ، ولا أحد يجيبيهم اذا سألوه .

وهكذا اتضح لنا يابنى أن الامر لم يكن الا نوعا من التخدير، هذا فى الوقت الذى كانت فيه السفارة الامريكية هنا فى مصر لاتزال تبذل الوعود ، وتطلق البخور، وتبشر بالخير العميم والآمال العظام .

لقد وصلنا الى هذا الموقف فى مستهل عــام 1953 . . أى بعد مرور ستة أشهر فقط على قيام الثورة ، ومع ذلــك لبثت أمريكا تحاور وتناور طوال سنة 1953 ، وسنة 1954 بغرض كسب الوقت وتخديرنا أطول فترة ممكنة حتى تــأتى اللحظه الحاسمة فنسلم لهــا فيمــا تريــد مــن اســتقلالنا، وسيادتنا، ومصيرنا .

ففى مارس سنة 1953 بدات مفاوضات الــسودان بينــا وبين بريطانيا وانتهت بتوقيع اتفاقية السودان ، وتلا ذلــك مفاوضات الجلاء بيننا وبين بويطانيا فى نفسى الصيف مــن هذا العام ، ولم تضيع أمريكا هذه الفرصة فطلبــت إلينــا أن نؤجل موضوع الاسلحة إلى ما بعد الوصول الى اتفاق بيننــا وبين بريطانيا ، وقالت فى تبرير ذلك ــ ان الانجليــز هــم حلفاؤها الاول ، وأن المفاوض البريطــانى ســوف يحــس بالحرج حين يرى الأسلحة ترد الى مصر فى الوقت الذى لم يتفق فيه على الجلاء ، وقد يظن البريطانيون ان فــى هــذا العمل تقليبا للمفاوض المصرى على البريطانى.. وطلبت منا أمريكا أن نقدر ظرفها على أن نكون واثقين تمام الثقة انــه فى اليوم الذى نوقع فيه اتفاقا مع بربطإنيا ــ فــان أمريكــا ستبادر وتبيعنا كل ما نريد من أسلحة .

ووافقنا على هذا العرض من جانب امريكا

فان موافقتنا او عدم موافقتنا لم تكــن تجــدى بعــد ان اتضح لنا ما اتضح من نوايا أمريكا بمد حكاية ميثاق الامــن

المتبادل ، وأتفاقية راس المال ، والبعثـــة المـــصرية . ولا أقول اننا فقدنا الامل نهائيا من ناحية أمريكـــا فـــى تلـــك ، الظروف وانما قلنا المثل العامى عندنا " خليك مـــع الكـــداب لحد باب الدار " .

وبدأت مرة اخرى فترة مزدهرة مـــن فتـــرات مرحلـــة الآمال.

فقد بدأت المفاوضات بينا وبين بريطانيا فى صيف سنة 1952 من اجل الجلاء فى جو كئيب مظلم ، وبدات بريطانيا ، كما كنا نتوقع تماما ، بداية لا يمكن معها المـــضى شـــبرا واحدا ، فبريطاني تؤمن ، بالمساومة كخلق وكمبدأ ، ونحن نرفض المساومة ونعتبرها خلقا رديئا لا يستقيم مع الشرف ولا مع المبادىء . .

وأمر أخر ..

أن بريطانيا حين تساوم فى قضية كقضية الجلاء فانهـــا تساوم ، على شىء لا يخصها ولا تملكه ، وهـــى مـــصر ، ولكن مصر حين تقبل مبدا المساومة فانها تكون قد ســـلمت فى كل شىء لأن أية مساومة ، مهما كانت ضئيلة تعنـــى أن تعطى مصر، واذا أعطت مصر تكون قد جـــزأت ســـيادتها ، ولما كانت السيادة لاتتجزا .. فان النتيجة هـــى أن مـــصر تكون قد سلمت فى أعز شىء وهو السيادة فى الوقت الـــذى لن يفقد فيه الطرف الآخر شيئا على الأطلاق لأنه ــ فـــضلا عن تمسكه بسيادته ــ يفرض على بلدنا أيضا هذه السيادة .

قالوا عمك جمال ديكتاتور !

إنهم يقولون فى مسألة تأميم القناة .. ان عمك جمال صلب ويثير المتاعب لأنه لا يقبل المساومة.. ثم يكملون القصة بأن عمك جمال دكتاتور لأنه يريد أن يملى أرادته .

وحتى اذ؟ سلمنا أن المساومة لا تتعارض مع الشرف ، ففى أى شىء كان سيساوم عمك جمال فى القناة .

إن القناة ملك لمصر وجزء لايتجزا منها .. باعتراف كل المعاهدات الدولية ، واعتراف بريطانيا وأمضائها فى أكثر من معاهدة .

ومصر أممت شركة القناة .. وهى شركة مصرية تخضع للقانون المصرى .

ومصر التزمت ـ بعد التأميم ـ بأن تباشر جميع المسئوليات التى كانت تقوم بها الشركة المؤسسة ، واعلنت على لسان عمك جمال رسميا . تمسكها بمعاهدة 1888 الخاصة بحرية الملاحة .

فماذا بقى ليساوم عليه عمك جمال يا بنى .. كما يريدون ؟

أرادوا فرض استعمار جماعى

لم يبق إلا شىء واحد هو أن يسلم لهم عمك جمال فيما كانوا يريدون قبل العدوان ، وأثناء العدوان وبعده ، وهو

أن يفرضوا على مصر استعمارا جماعيا تحت اسم " اللجنة الدولية " ــ بعد أن كان هذا الأستعمار استعمارا أنجليزيا فقط ــ تشترك فيه هذه المرة أمريكا وفرنسا وتوابعهما وذيولهما الذين يعيشون على الصدقة والاستجداء .

ورحم الله الخجل .. ورحم الله الحياء . .

أعود بك إلى حديثى يابنى ، ففى الفترة الباقية من مرحله الآمال ، أى من صيف سنة 1953 إلى أن وقعت أتفاقية الجلاء التى نسفها العدوان ، أقول كان سلوك أمريكا فى هذه الفترة مشرقا باسما .

فقد استمرت هذه المفاوضات قرابة سنة ونصف ، كانت بريطانيا تبذل فيها كل جهدها وتصطنع صنوفا من الحيل والخداع لكى تجعل لها فى سيادة مصر حقا ، وانقطعت هذه المفاوضات أكثر من مرة ، بل إننا فى نهاية عام 1953.. وبعد أن قطع عمك جمال المفاوضات للمرة الثانية ، اجتمعنا وقررنا القيام بمعركة مسلحة لطرد بريطانيا من مصر وحددنا لهذه المعركة شهر يناير سنة 1955، وكلف جميع الوزراء فى هذا الاجتماع بتوجيه سياسة وزاراتهم نحو انجاز هذه المعركة.

فى هذه الفترة بالذات بدت أمريكا ــ كما قلت لك يابنى ــ مشرقة باسمة .

وقد حكيت لك يا بنى فيما مضى عن سفير أمريكا فى ذلك الوقت وهو المستر كافرى ، وأعود مرة أخرى فأقول ان هذا الرجل كان يبذل كل ما يستطيع لكى يصحح اخطاء

واشنطن عن فهم وادراك لا لنفسيتنا وحدها وانما لمصلحـــة أمريكا ذاتها .

دور أمريكا فى مفاوضات الجلاء

واليوم ، وبعد كل هذه السنين والتجــارب اســتطيع أن اقررلك يابنى حقيقة الدور الذى قامت به أمريكا فـــى خـــلال مفاوضات الجلاء بين مصر وبريطانيا .

لقد قدمت أمريكا مــساعدة أدبيـــة لمـــصر فـــى هـــذه المفاوضات وهذه حقيقة .

ولكن هل كانت أمريكا تؤمن بحق مصر وهى تقدم هـــذه المساعدات؟

ان الواضح يا بنى أن أمريكا أخذت بمـــشورة ســـفيرها كافرى ولكن لأغراض أخرى هى نفس الأغراض التى تريـــد امريكا ان تحققها اليوم بعد أن فشلت بريطانيا، وفرنسا فـــى عدوانهما على مصر .

لقد كانت أمريكا تريد دائما ، يابنى ، ولا زالت الى هذه الساعة التى اكتب لك فيها هذه السطور فـــى عـــام 1957، إقول كانت أمريكا تريد أن تفرض ســـيطرتها علـــى مـــصر بوسائل تظن أنها تخفى على الناس فى الوقت الذى أصبحت فيه سخرية كل الناس .

العدوان السلمى

بدلا عن ان تستخدم أمريكا وسائل بريطانيا الاستعمارية العتيقة المكشوفة ، نراها تلجأ الى وسائل جديدة لكى تحقق لنفسها أهداف الاستعمار البريطانى المنهار .

كانت بريطانيا تطلق على اغتصابها لأرض الغير ، وابقاء جنودها وقواعدها فيها كلمة " احتلال" .

وأمريكا تطلق اليوم على نفس العمل كلمة " أمن متبادل " وكانت بريطانيا تتحكم فى ارزاق العباد بسيطرتها على منطقة الاسترلينى .

وامريكا تريد اليوم ان تتحكم فى أرزاق العالم كله بسيطرتها على البنك الدولى .

وكانت بريطانيا ولا تزال تتوسل الى تحقيق أهدافها فى البلاد الأخرى بأحداث الفتن والانقلابات والمؤامرات تحت اسم مصالح الامبراطورية البريطانية .

وامريكا تفعل اليوم نفس الشىء بصورة اكبر وأبشع تحت اسم "الخطر الشيوعى " تارة و " الشيوعية الدولية " تارة أخرى .

ولما فشل عدوان بريطانيا وفرنسا فى تحقيق اهدافه فى مصر قامت امريكا لتحقيق نفس أهداف العدوان ولكن بطرق سلمية .

فقد رفضت ان تفرج عن أرصدة مصر ، ورفضت أن تبيع لنا القمح والدواء ونحن معتدى علينا فى الوقت الذى وهبته لاسرائيل المعتدية لا لشىء الا لفرض حصار اقتصادى تتوهم امريكا أنها ستفلح بمقتضاه فى اسقاط عمك جمال عبد الناصر وهو نفس هدف عدوان بريطانيا وفرنسا .

وأمريكا تردد على لسان المسئولين فيها، وعلى رأسهم أيزنهاور نفسه، بحق اسرائيل فى استخدام قناة السويس وخليج العقبة اعتقادا منهم إن ذلك سيخلق ضغطا سياسيا على مصر يجعلها تسلم فى النهاية لمطالب اسرائيل وأطماعها ، وهو نفس هدف عدوان بريطانيا ، وفرنسا، واسرائيل. .

وأمريكا تعلن على لسان وزير خارجيتيها تأييدها لفرنسا ضد المجزرة البشرية التى ترتكب ضد عرب الجزائر ، و تعلن أيضا عن تصميمها على تزويد فرنسا بالمزيد من الاسلحة لكى تستمر هذه المجزرة ، وتحرك أسطولها ــ فى نفس الوقت ــ فى البحر الابيض المتوسط للتهديد والوعيد لكى تفتت العالم العربى وتفرض عليه نفوذ الغرب . . وهو نفس هدف عدوان بريطانيا ، وفرنسا .

وأردت من سرد هذه المقارنات يابنى أن أقول لك ان أهداف أمريكا فى عام 1952 يوم قيام الثورة هى نفس أهداف أمريكا عام 1957 بحد فشل العدوان ، وأن أية مساعدة تقدمها امريكا ليست لله .

ولقد قدمت لنا أمريكا يا بنى مساعدة فـــى مفاوضـــات الجلاء ،

فماذا كان الثمن الذى طلبته .

المرحلة الثانية : مرحلة التضليل

من عادتى ان أحتفل بعيد مولدى على غيـــر مـــا تعـــود الناس أن يحتفلوا بأعياد الميلاد ، فأنا أركن فى هذا اليـــوم من كل سنة الى الوحدة ، والتأمل ، التأمل فـــى الماضـــى ، والحاضر، والمستقبل ، بل اننى أستعيد كل ما مـــضى مـــن حياتى منذ ان بدأت أدرك الأشياء وأحسى من حـــولى بهـــذا الكون .

أستعيد كل شىء استطاعت ذاكرتى ان نختزنه أو تنفعل به ، واستعرض موكب عمرى عبر السنين الماضـــية بكـــل مافيه من مشاهد فيها الألم وفيها الفرح ، فيها اليأس وفيها الأمل ، فيها السذاجة وفيها النضج ، فيهـــا الفـــشل وفيهـــا النجاح ، فبها الخيبة وفيها اليقين ، فيهـــا الخطـــأ وفيهـــا الصواب .

مشاهد فيها من كل ما يحيط بالبشر ــ فى هذا الوجـــود ــ من صروف وأنفعالات ، وترأنى يابنى وأنا استعرض هذا الموكب فى قمة النشوة وأوج السعادة ، فأنا اجـــد نفـــسى وأعرفها من خلال رحلة هذا الموكب .

أعرفها فى الخطأ كما أعرفها فى الصواب ، وأعرفهـــا فى الفشل
كما أعرفها فى النجاح .

ومن وجد نفسه واهتدى اليها يا بنى فى خضم هــذه الحياة طابت له الأيام ، وعمرقلبه اليقــين ، واســتطاع إن ينعم ضميره بالنور والصفاء .

هكذا أعيش يوم مولدى فى تأمل لذيذ يا بنى ، واستمتع فيه باجمل وأشهى لحظات أعيشها على ظهر هذه الدنيا .

25 ديسمبر سنة 1954

وفى يوم ذكرى مولدى سنة1954 الذى يوافق يــوم 25 ديسمبر من كل سنة جلست أتامل على عادتى .

كان الاتفاق المصرى البريطانى الخاص بالجلاء قد وقع فى شهر أكتوبر من السنة نفسها وكنــا نتأهــب لاســتقبال مرحلة جديدة فى العلاقات بيننا وبين بريطانيا وامريكا .

أما بالنسبة لبريطانيا فاننا بدأنا نحس بعض الراحة بعــد توقيع اتفاقية الجلاء ، اذ أن المعركة المسلحة التى كنا نعــد لها لطرد بريطانيا من مصر ومــا يــصاحبها مــن خــسائر وتكاليف وتعويق لعملية البناء فى الداخل ، اقــول أصــبحت هذه المعركة غير ذات موضوع وهذا وحده كــسب ضــخم يضاف الى الجلاء . وبدانا نفكر فى اقامــة علاقاتنــا مــع بريطانيا على أسس غير تلك الــشكوك التــى كانــت تمــلا

صدورنا نتيجة لتصرفات بريطانيا طوال أربع وسبعين سنة متصلة من الخداع والكذب والسيطرة .

وهناك عامل آخر يا بنى كان يحتم علينا أن نعيد بناء علاقات مع بريطانيا ، هذا العامل هو اننا وقعنا اتفاقية الجلاء ــ وهى اتفاقية صداقة فى الوقت نفسه ــ ونحن نحترم توقيعنا مهما كانت الظروف .

وأما بالنسبة لأمريكا فاننا كنا نحس نحوها بالعرفان لما قدمته من مساعدات ادت فى نهاية الأمر الى توقيع إتفاقية الجلاء ، وحدت من غلواء بريطانيا أثناء المفاوضات فى مواطن كثيرة ، ولقد كان هذا الشعور مشجعا لنا لكى نعود فنطلب من أمريكا ان تنجز وعدها الذى أخذته على نفسها بالبدء فى بيع السلاح لنا عقب توقيع اتفاقية الجلاء ، ونسينا حكاية الأمن المتبادل التى صدمتنا بها أمريكا فى الماضى ونسينا كل ماساورنا من شكوك سابقة بشأن اتجاه السياسة الأمريكية.

أمال لم تدم طويلا

وبالجملة كان كل شىء يبشر بالأمل والخير والبركة بيننا وبين كل من بريطانيا وأمريكا عقب توقع أتفاقية الجلاء فى أكتوبر سنة 1954 ، ولكن هذه الآمال لم تدم طويلا إذ أنه ما أن طلبنا من امريكا أن تفى بوعدها وتبيع لنا السلاح حتى عادت تتحدث عن حكاية الدفاع عن الشرق الاوسط ، ونظريتها فى ذلك التى تخالف نظريتنا تمام المخالفة ، والتى كانت محل خلاف لا أمل فى اصلاحه بيننا وبين كلا من بريطانيا وأمريكا سواء أثناء المفاوضات أو قبلها .

ولم نيأس، وانما بدانا نقنع أمريكا من جديد بأن الـــدفاع عن الشرق الأوسط يجب ان ينبثق من داخله وأنا يقوم بـــه أبناؤه ، وأنضمت بريطانيا إلى أمريكا فأخذنا نقنعهـــا هـــى الأخرى على اساس ان النيات سليمة كما كانت نيتنا نحـــن ، وان الأمر لايعدو أن يكون مناقشة بـــين اصـــدقاء تنتهـــى بافتناع أحد الطرفين بنظرية الآخر .

حتى يتم طبخ الموامرة

ومرة اخرى كنا سليمى النية وطيبين أكثر من اللازم يـــا بنى .

فقد كانت أمريكا ، وبريطانيا قد دبرتا فيما بينهما ؟ أمرا ، لم يكن الحديث معنا الا من باب المطاولة والتضليل حتـــى بتم طبخ المؤامرة لكى تظهر على الملاء .

بدات هذه المؤامرة يا بنى بوصول السيد نورى الـــسعيد رئيس وزراء العراق فى ذلك الوقت الى القاهرة ، وهو فـــى طريقه الى لندن ، واجرائه مباحثات مع عمك الرئيس جمال ، وكانت خلاصة حديث نورى السعيد هى أنه لا سبيل للعرب إلا بالتعاون مع الغرب وأن أول خطوة لذلك أمضاء تحـــالف مع بريطانيا وأمريكا .

سيكون هو سبيل الحصول على الاسلحة والحماية فـــى هذا العالم المضطرب. .

وكان عمك جمال صريحا واضحا يا بنى ، فقد أفمهم السيد نورى السعيد أن مصر ، لا ترفض تعاون الند للند القائم على المساواة التامة ، ولن تتحقق هذه المساواة ونحن ضعفاء والطرف الآخر قوى . فالتعاون فى هذه الحالة . معناه تحكم الغرب فينا . كما كان يحدث فى الماض .

اما مبدأ الاحلاف فقد رفضه عمك جمال يا بنى من أساسه لأن هذه هى السياسة التى يؤمن بها شعب مصر حتى من قبل قيام الثورة . .

ثم أثار عمك جمال القضاي العربية التى بين العرب والغرب والتى يرفض الغرب بعناد أن يعيد فيها الحقوق إلى أصحابها العرب .

التعاون ممكن.. ولكن بشرط

وأنتهى عمك جمال يا بنى الى أن التعاون ممكن فى كل الظروف بشرط أن تخلص النيات .

وشرح للسيد نورى السعيد نظريتنا فى الدفاع عن الشرق الاوسط والتى سبق شرحها مرارا لبريطانيا وأمريكا ، وأن العدو الحقيقى لهذه المنطقة ليس هو الذى يعيش على بعد آلاف الأميال ، وانما هو إسرائيل التى تقبع فى قلب الأمة العربية وفى قلب الشرق الاوسط .

ولم يقتنع السيد نورى السعيد طبعا ، ولكنه قال فى ختام حديثه انه ذاهب الى لندن لكى يستبدل المعاهدة العراقيــة ـــ البريطانيه باتفاق كالاتفاق الذى وقعته مصر مع بريطانيــا بشأن الجلاء ..وسافر السيد نورى السعيد الى لندن ثم عاد إلى تركيا .

حدث كل هذا فى الشهرين الأخيرين من ســنة1954 أى فى نوفمبر وديسمبر سنة 1954 وأيراد هذه التواريخ مهــم يا بنى لأنك ستحتاج إليها .

أول قرار علنى بالإجماع

وفى ديسمبر سنة 1954 حدث حادث آخر له دلالته من وجهة نظر علاقات العرب بالغرب .

فقد اجتمع وزراء خارجية الدول العربية فى القاهرة فى 12 ديسمبر سنة 1954 . على ما أذكر ، وقرروا لأول مرة علنا أن التعاون مع العرب ممكن بشروط . منهــا تــسوية القضايا العربية ومنها أن يمد الغرب العرب بأسباب القوة .

والمهم فى هذا القرار أنــه أول قــرار يــصدر عنــا وبالإجماع وينشر على الشعوب العربية كلها ، وفيه إمكــان التعاون مع الغرب برغم ما بين هذا الغرب والشعوب العربية من ثأر على رأسه مشكلة فلسطين ، ولكن بريطانيا وأمريكا فهمتا هذا القرار بطريقتهما الخاطئة دائما فأعتقدنا أن العرب يسلمون كعادتهم وبدلا من أن تبحث كل من بريطانيا وأمريكا شروط هذا التعاون وتزيلا أسباب الخلاف بدأتا فــى أظهــار المؤامرات إلى حيز الوجود .

فما أن جاء شهر يناير سنة 1955 وانقضت منه عشرة أيام حتى وقف نورى السعيد يعلن عن امضاء ما يسمى بحلف بغداد فى نهاية زيارة رئيس وزراء تركيا لبغداد فى ذلك الوقت .

وهكذ! أعلنت المؤامرة التى كانت تطبخ فى امريكا ، وبريطانيا منذ وقت طويل ..

وبدأنا نستعيد الشريط

وهكذا اتضح أن حديث امريكا معنا عن الصداقة منذ الايام الأولى للثورة لم يكن الا ستارا خداعا ، وان وعودها ببيع السلاح لنا لم تكن ألا مطاولة لكسب الوقت حتى تتمكن من تنفيذ مشروعاتها فى المنطقة ووضعنا امام الأمر الواقع ، فاما أن نسلم واما أن نموت .

وبدأنا نستعيد الشريط من جديد .

أمن متبادل ..

اتفاقية رأس المال .

وعود لا قيمة لها ولا حساب .

وهكذا انتهت المرحلة الثانيه.. مرحلة التضليل بظهورحلف بغداد الاستعمارى المشئوم .

الفصل الثامن

- المرحلة الثالثة: مرحلة ظهور النوايا
- المأساة التى شهدتها القاهرة
- مساومات على الشرف

المرحلة الثالثة

مرحلة ظهور النوايا

لقد ظنت أمريكا وبريطانيا يا بنى أننا سنسلم أمام الامر الواقع ، حينما يظهر حلف بغداد إلى الوجود ، كما حدث فى شهر ، يناير سنة 1955 .. أو لعلهما اعتقدتا اننا لن نفطـن الى أهداف هذا الحلف ، ولكننا علـى العكـس مـن ذالـك عارضناه ولا نزال نعارض هذا الحلف لأسباب كثيرة منها :

أول ا: إن صانعى هذا الحلف هم الذين صنعوا إسـرائيل وهـم الأنجليز، والأمريكان ... وإسرائيل يقولون عنها انها وجدت لتبقى ، أى انها فى نظرهم دولة من دول الـشرق الاوسـط الذين يدعون ان هذا الحلف وجد لخدمة أغراض السلام فيه والدفاع عنه ، فقبول الدخول فى هذا الحلف معناه اعتـراف كامل بإسرائيل من ناحيتنا ، خاصة وإن الذين صمموا هـذا الحلف جعلوا العدو الوحيد الذى يشكل الخطر عئى المنطقـة هو روسيا .. ومفهوم طبعا ان هذا الأمر فضلا عـن انـه يخدم أهداف أمريكا فانه أيضا يخدم ــ فى الدرجة الاولى ــ إسرائيل لأن انظار العرب ستتحول عنها الى روسيا ــ العدو الرسمى ــ التى تقع على بعد آلاف الاميال من المنطقة .

ثانيا : ان الشعب المصرى يرفض كمبدا الدخول فى الاحلاف ايـا كانت... ويصبح هذا الرفض عنادا واصرارا اذا ما طلب منه ان يدخل فى شركة مع بريطانيا التى عرفناها اربعا وسبعين سنة ودخلنا معها فى شركة بمقتضى معاهـدة سـنة 1936 فكانت هذه المعاهدة حبرا علـى ورق .. لان التعاقـد بـين

طرفين غير متكافئين معناه سيطرة الطـرف الأقـوى علـى الطرف الضعيف ، واملاء الأوامرعليـه والتـصرف فـى مصيره وهو ما يسمى بالاستعمار .

ثالثا : اننا دولة صغيرة توشك أن تتخلص من السيطرة الاجنبية التى عطلت الشعب وتقدمه .. ونريد أن نبنى بلـدنا لكى لا نظل متخلفين كما تصفنا بريطانيـا وأمريكـا ، رلا مصلحة لنا فى معادات احد فى هذا العالم ، ولا مصلحة لنـا أيضا فى الإنحياز الى كتلة دون أخرى من الكتل المتصارعة فى هذا العالم .

هذه بعض الاسباب التى جعلتنا نهـب لمعارضـة هـذا الحلف شعبا وحكومة ، وهذه هى الأسـباب نفـسها التـى جعلت الشعوب العربيه كلها تعارض الحلف وتثور عليه .

ولقد وضحت نيات أصحاب هذا الحلف من أول يوم عندما أعلنوا صراحة تصميمهم على جر الدول العربية كلها الى عربته ، عندئذ أصبح واضحا ان الهدف الاساسى من هذا الحلف الذى بدأ الدعوة اليه نورى السعيد ــ عميل بريطانيا الأول ــ انما هو السيطرة الاستعمارية وليس الدفاع عن الخطر الوهمى .

فقد انطلق الدبلوماسيون البريطانيون والامريكان فى سفارتى بريطانيا وامريكا من أكبر واحد الى أصغر واحد ،أقول انطلقوا يا بنى يؤكدون لنا فى مناسبة وغير مناسبة جهل حكومتى بريطانيا وأمريكا بأمر هذا الحلف الذى أعلنه نورى السعيد ، وكان الدبلوماسيون البريطانيون يقسمون بكل شىء فى حماس غريب لكى يثبتوا براءة حكومتهم ، ولكنا لم نلبث أن سمعنا ايدن ــ رئيس وزراء بريطانيا وقتذاك ــ يعلن فى مجلس العموم البريطانى .. وفى ثورة غضب ، أنه هو صاحب فكرة حلف بغداد .. وان الحلف قام لكى يجعل لبريطانيا مركزا ممتازا فى هذه المنطقة .

وهكذا أثبتت بريطانيا يا بنى قبل مضى ستة أشهر على امضاء اتفاقية الجلاء والصداقة معنا أن العقلية الاستعمارية البريطانية هى التى تضع الخطط ، وان مفهوم الصداقة عند بريطانيا هو الخضوع لأوامرها والدخول فى أحلافها والتسليم لسيطرتها وتحكمها ، وان بريطانيا كعادتها كانت تمد احدى يديها لمصافحتنا فى الوقت الذى تحمل فيه فى اليد الأخرى ، خنجرا خنجرا مصوبا إلى ظهرنا .. لقد فعلت

بريطانيا ذلك مع العرب سنة 1917 حينما كانـــت تفـــاوض الشريف حسين فى شأن استقلال العرب ووحدتهم فى الوقت نفسه الذى كانت نفاوض فيه اليهود لاقامة وطـــن قـــومى لاسرائيل ، والذى مهد له بوعد بلفور المشهور .

وستظل بريطانيا وأمريكا تفعلان ذلك مـــع كـــل شـــعب ضعيف ، فستعلم يا بنى من روايتى لك أن الأمر فى العلاقات الدولية لم يعد أمر خلق ومبادىء .. وأنما المسألة مـــسألة قوى وضعيف ، غنى وفقير .

مساومات على الشرف

ستعلم يا بنى ان البشرية تجتاز محنة عصيبة فى زماننا هذا على يد حلفاء الغرب وامريكا بالذات . فاما أن يخضع الناس لهم بالحديد والنار ، واما أن يساوموا الناس على شرفهم وأوطانهم بالذهب والدولار .

واعود الى حديثى يا بنى فأقول : بدانا نعيد تقدير موقفنا من انجلنرا وأمريكا على ضوء هذا الحدث الجديد وظلت مقاومتنا تشد وتعنف ، الى أن وقع حدث آخر كان هو نقطة التحول التاريخية فى حياة مصر كدولة مستقلة كاملة السيادة ، بل ان أثر هذا الحدث كان عميقا ومدويا فى العالم كله بحيث اصبح من الأحداث التى سيسجلها التاريخ على أنها نهاية تاريخ ، وبداية تاريخ .

كان هذا الحدث هو عدوان إسرائيل على غزة فى 28 فبراير 1955 .

ولقد وصف مجلس الامن هذا العدوان بأنه " عدوان وحشى ومدبر " وأعلنت حكومة اسرائيل بعد ذلك فى تحد وخيلاء أنها دبرت هذا العدوان ، وبرغم كل هذا لم تحرك أمريكا ساكنا ولم تحرك بريطانيا ساكنا.. ومرت المسألة برغم قرار مجلس الأمن كما لو كان أمرا عاديا.

ناقوس الخطر الذى دق

أما بالنسبة لمصر يابنى فان هذا العدوان كـــان بمثابـــة ناقوس الخطر المروع لاعتبارات عديدة .

منها أن توقيت وقوعه جاء فى ابان أشـــتداد معارضـــة مصر لحلف بغداد ، وحديث أمريكا عن الصلح مع اســـرإئيل وضرورة تصفية القضية بيننها وبين العرب .

ومنها ارتباط حياة اسرائيل ووجودها بمساعدات أمريكا واحسانها ، ولا يمكن أبدا أو يعقل أن تـــأتى اســـرائيل بمـــا يغضب امريكا أو يثيرها، اما أمريكا فقد أكتفت بـــأن يـــصدر مجلس الأمن قراره واعتبرت ان الموضوع منته .

ومنه ايضا ان السلاح الذى تعتدى به اسرائيل أمريكـــى وبريطانى تحصل عليه اسرائيل بمنتهى السهولة ويدفع ثمنه فى أمريكا من الهبات التى تغدق على إسرائيل بدون حساب وهى هبات معفاة من الضرائب بقانون أصدره ترومان راعى فيه مصلحة اسرائيل . هذا فى الوقت الذى ظلت فيه أمريكـــا تضحك على ذقوننا ثلاث سنوات كاملة فلم تبيع لنـــا قطعـــة سلاح واحدة بل وعدت ، تم راوغت ، ثم سكتت فى الوقت أيضا الذى كانت بريطانيا قد تسلمت فيه ملايين الجنيهات من مصر ثمنا لصفقة من الأسلحة ولكنها لم تورد منها إلا جزء ضئيلا جدا ولم تبد سببا واحدا معقولا لتأخيرها عن توريـــد الباقى بعد أن قبضت الثمن كاملا.

ومنها أيضا محاولة اذلال مصر التى ظهرت فى صـــحف بريطانيا وأمريكا وفرنسا تلك الصحف التى أخذت تشيد بقوة إسرائيل وتفوقها على الدول العربية مجتمعـــة . وإســـرائيل

مليون ونصف ، والعرب أربعون مليونا تبلغ مصر وحـــدها ثلاثة وعشرين مليونا .

اذن فعملية التحكم فى بيع السلاح لنا خطة موضوعة .

وحكاية التصريح الثلاثى المشهور الذى صدر فى ســـنة 1950 ــ ولم نعترف به ــ هو أيضا جزء من تلك الخطة ، هدفه هو تزويد إسرائيل بالسلاح والقوة ، وحرمان العــرب من هذا السلاح وتلك القوة .

وحديث الصلح مع إسرائيل الذى تبدؤه أمريكا دائمـــا ، كلما فتحنا مرضوع الأسلحة ، وعدوان إسرائيل الذى يمـــر مر الكرام .

هكذا أتضح لنا بعد عملية حسساب بسيطة أن أمريكا لن تبيعنا قطعة من السلاح الا اذا وقعنا الصلح مع اسرائيل التى تتحدى مجلس الأمن وتعلن رسميا اذها دبرت العدوان الذى وصفه ذلك المجلس بأنه "وحشى " .

وان بريطانيا التى وقعت معنا ــ منذ شهور قليلة ــ أتفاقية الجلاء والصدأفة سوف لا تورد لنا الأسلحة التـــى قبــضت ثمنها بالكامل لان بريطانيا هـــى شـــريكة أمريكـــا الأولـــى وحليفتها وصانعة اسرائيل معهـــا وزعيمـــة حلـــف بغـــداد وصاحبة فكرتة ، كما قال رئيس وزراتها فى مجلس العموم.

.

كانت لأمريكا وبريطانيا خطة اذن ، وأصبح لابد لنا نحن الآخرين من خطة مضادة بعد أن وضحت النوايا سافرة .

كانت خطة امريكا وبريطانيا هى التحكم فينا عن طريق بيع السلاح واحتكاره ، وكافت خطتنا هى تحطيم هذا الاحتكار الى الأبد ، ونسف أسطورة التحكم والسيطرة عن طريق بيع السلاح من الموردين التقليديين كما كانوا تظنون .

ان المسألة أصبحت لنا مسألة حياة أو موت يا بنى .

فاما أن نسلم لأمريكا وبريطانيا ونعقد صلحا مع اسرائيل بشروطها ، وتنتهى فلسطين وينتهى معها مليون من اللاجئين ، وأما أن نحرم من السلاح فتعتدى علينا إسرائيل ثم تغزونا آخر الأمر ، ويصبح اللاجئون اربعة وعشرون مليونا من النيل الى الفرات .

واما ان ندخل أحلاف أمريكا وبريطانيا ونعود مرة أخرى الى ذلك الطوق الأستعمارى البغيض فنتلقى لأوامر من جديد ، ونرسل بأبنائنا الى الحرب كما يريدون ، واما أن نحرم من السلاح والحماية فلا يكون اممنا من سبيل الا أن نطلب الحماية .

وعيب الاسمتعمار يا بنى أنه يغتر دائما فى قوته وجبروته ولا يحس أو يعترف بارأدة الشعوب ، فلقد ظلت أمريكا وبريطانيا فى حلمهما اللذيذ الذى صور لهما ان مصر لابد راكعة على ركبتيها أن أجلا وأن عاجل ا، وظنوا ايضا ويظنون إلى يومنا هذا فى سنة1957 ــ وأغلب الظن انهم سيظلون على ذلك الظن ــ " ان الله لم يخلق على الأرض

سادة الا منهم أما باقى البشر فلابد أن يكونوا عبيدا لهـم . تماما كالعقيدة التى تؤمن بها عصابات اسرإئيل مـن أنهـم شعب الله المختار وأن ما خلقه الله من دون اليهود ليس الا خدما لهم ، هم والارض والزرع مئك لهم .

وقررنا خطتنا فى مارس سنة 1955 يا بنى وجعلنـا لها غرضا محددا هو أنه لابد من الحصول على السـلاح ، فقد كان السلاح هو آخر. مظهر من مظاهر التحكم والسيطرة أرادت بريطانيا وإمريكا ان تحتفظا به لاذلالنـا واخـضاعنا وقتما تريدان .

ثم سافر عمك جمال يا بنى فى مايو سنة 1955 إلـى باندونج لتمثيل مصر فى ذلك المؤتمر التـاريخى ، وهنـاك أعلن للعالم كله بحضور ممثلى الدول الآسيوية والافريقيـة سياسة مصر التى تقوم على الحياد الايجابى ، والأعتـراف بحق تقرير المصير وستقرأ يابنىكثيرا عن هـذا المـؤتمر الذى أصبح رمزا للتحرر ومقاومة الاستعمار ، وكان المغزى العميق لهذا المؤتمر هو اجتماع ثلاثين دولـة مـن آسـيا وافريقا لأول مرة فى التاريخ بعـد أن تخلـصت مـن بيـر السيطرة الأجنبية والاستعمار ، ولم يسمح للـدول الكبـرى المستعمرة بحضوره أو حتى بايفاد مراقبين إليه .

وبمجرد أن عاد عمك جمال يا بنى من باندونج ، بـدأ على الفور تنفيذ الخطة فاتصل بالغرب والشرق على السواء .

أما مع الغرب فقد طلب عمك جمال منهم يا بنى أن يفوا بعهودهم وإلا فسيشترى السلاح من غيرهم ، وابان لهم أن الأمر لا يحتمل التسويف أو المماطلة لأن كرامة مصر القومية فى الميزان .

وأما مع الشرق فقد أرسل عمك جمال يستفسر منهم عمن يبيعنا ما نريد من السلاح .

ولم يرد الغرب .
وجاء الرد من الشرق ، فقد أرسلت تشيكوسلوفاكيا ، تقول انها على إستعداد لبيع السلاح ، وانها على استعداد أيضا لبدء المباحثات التجارية لأتمام مانريد من صفقات .

وظل الغرب ساكنا مرة أخرى ، فقد عرف بعد ذلك أن وزارة الخارجية الأمريكية لم تأخذ الأمر مأخذ الجد وإنما اعتبرت أن كلام مصر هو من قبيل " التهويش " ، لذلك أهملت الموضوع كلية على أمل أن ينكشف التهويش وتعود مصر الى الحظيرة فتخضع وتركع ، ومرة أخرى استسلمت أمريكا وبريطانيا لحلمهما اللذيذ ولم تفيقا منه إلا على حقيقة حازمة هى أن مصر قد عقدت فعلا مع تشيكوسلوفاكيا صفقة اشترت فيها بحر مالها ما تريد من سلاح وعتاد .

اما إسرائيل فقد كان لها حدبث آخر خلال هذه الفترة .

ففى صيف هذه السنة نفسها أى سنة 1955 خرج بن جوريون من عزلته وعاد الى المسرح السياسى وفاز فى

الأنتخابات وكانت شعاراته التى ملأ بها الشوارع هى " فرض الصلح على العرب بالقوة " وما ان تولى بن جوريون رياسة الحكومة حتى وقف فى البرلمان الاسـرائيلى يتحـدث عـن سياسته واستعداده للالتقاء بالرئيس جمال عبـد الناصـر ، وعن نوايا اسرائيل السلمية وحديث الصلح ، وحسن الجوار ، وما ان مضت عشر ساعات على هذا الحديث حتى كان بن جوريرن يصدر أوامره بوصفه وزيرا للدفاع ، الى قـوات الجيش الاسرائيلى بمهاجمة الموقع المصرى " الصبحة " .

وأذكر ان مراسلا بريطانيا كان فى اسـرائيل فـى ذلـك الوقت ثم جاء إلى القاهرة بعد ان ردت القـوات المـصرية الهجوم الاسرائيلى ، وفى حديث خاص قال لى : انه اجتمـع ببن جوريون وسأله عن سبب الهجوم على " الصبحة " فى الوقت الذى كان ينادى فيه بن جوريون ، بالأجتماع بالرئيس جمال ، فرد عليه بن جوريون قائلا إن كل المعلومات التـى تجمعت لديه عقب القاء خطابه كانـت تقـول بـأن الحالـة السياسية فى مصر مهددة بالانفجار وأن الرئيس جمال على وشك السقوط ، وان الثورة المصرية على وشـك التـصفية ولكن الامر يحتاج الى سبب يعجل بالأنفجار . . ثم نظر إليه بن جوريون فى ثقة وهدوء وقال : انك ستسافر مـن هنـا إلى مصر .

فعجل لكى ترىبنفسك الأحداث وتسجلها .

وجاء المراسل البريطانى وسجل فعلا الأحداث .

سجل أنتصار مصر على آخر قيد من قيود السيطرة ، أذ سمع بنفسه إعلان الرئيس جمال عن عقد صفقة الأسلحة ، وسمع وشاهد الشعور فى مصر وفى دنيـــا العــرب وعـــالم الأحرار .

وبهذا تنتهى المرحلة الثالثة وهى التى عرفتها لك يا بنى بمرحلة ظهور النوايا .

الفصل التاسع

- المرحلة الرابعة : مرحلة المساوامة
- الكلاب الضارية تنبح فى هستريا صاخبة
- حكاية توازن القوى
- العداوة بين رجلين
- معالجة الأخطاء

المرحلة الرابعة : مرحلة المساومة

بدأت هذه المرحلة يابنى عنيفة فى سبتمبر سنة 1955.

فقد شنت الصحف الأمريكية ، والصحف البريطانيـــة ، والصحف الفرنسية ، وكثير من صحافة أوربـــا بالتبعيـــة . حملة مركزة من الكراهية والتضليل ضد مصر .

أما أمريكا فقد اعتبرت عقد صفقة الأسلحة المــصرية التشيكية ، هزيمة نكراء للسياسة الامريكيـــة فـــى الـــشرق الأوسط .. وهزيمة أيضا لمشاريع أمريكا فى هذه المنطقة . سواء من ناحية إسرائيل أو من ناحية الأحلاف . وسياســة الحصار التى تريد أن تطوق بها روسيا .

وبدلا من أن يدرس المسئولون فى واشنطن أســباب هــذه الهزيمة دراسة واقعية ، لجأوا الى التشويش والتــضليل .. وصوروا صفقة الاسلحة على أنها أرتبـــاط مـــصر بالكتلـــة الشرقية ضد أمريكا .. والشعب الأمريكى حساس جــدا مـــن هذه الناحية بعد أن صوروا له الشيوعية على أنها الموت . وبالتالى أصبحت مصر فى دعاية أمريكا الرسمية أداة من أدوات هذا الموت الذى يريد أن يطبق على عنق الشعب الأمريكى المضلل . وطبيعى أن تتعاون الصهيونية . العالمية مع المستر دالاس مصمم السياسة الأمريكية فى هذه الدعاية

الكلاب الضارية
تنبح فى هستيريا صاخبة

والصهيونية العالمية تسيطر فى أمريكا على الصحافة والأذاعة والمال والسينما ، وكل ماله تأثير على الناس .

وبذلك تم تطويق الشعب الأمريكى بطوق حديدى من الدعايات التى طمست الحقائق طمسا كاملا، وانطلقت الصحف الأمريكية كالكلاب الضارية تنبح فى هستيريا صاخبة ، وتصور مصر كل يوم بصورة أبشع من صورة اليوم الذى سبقه .

فالسلاح الذى أشترته مصر بمالها على أسس شريفة للدفاع عن حدودها وكرامتها ، أصبح فى نظر صحافة أمريكا عدوانا آثما من مصر .. وأصبحت مصر فى نظر هذه الصحافة قاعدة تعد للهجوم .. وأغفلت الصحف الامريكية ، حسب الخطة الموضوعة ، حكاية السنوات الثلاث التى أنفقتها مصر فى التفاوض مع أمريكا لشراء السلاح . . واغفلت مذه الصحافة ايضا – عن عمد– مساومة الحكومه الامريكية لنا من أجل بيع السلاح ، ووعود أمريكاالتى نقضتها المرة تلو المرة .

الاعتداءات الثلاثه

واغفلت أيضا هذه الصحافة عدوان اسرائيل المستمر على حدودنا وحدود العرب .. برغم أنه فى نفس هذه السنة وهى سنة 1955، وقعت ثلاثة اعتداءات مشهورة على حدودنا : كان اولها فى 28 من فبراير سنة 1955 على غزة وهو نقطة التحول كما شرحت لك يابنى .

أما الاعتداءان الكبيران الآخران ، فهما اعتداء وقع على نقطة الكونتلا المصرية .. والآخر هو الاعتداء الذى وقع على موقع الصبحة المصرى بعد أن تحدث بن جوريون عن السلام فى برلمان إسرائيل بعشر ساعات فقط .. هذا بخلاف الاعتداءات الأخرى التى كانت مستمرة على حدودنا وحدود سوريا وحدود الاردن .

لم تذكر الصحف الامريكية حرفا واحدا عن حملة بن جوريون فى صيف سنة 1955 والتى كانت تقوم علنا على شعارات كان اهمها فرض الصلح على العرب بالقوة .. ولن تستطيع الحكومة الأمريكية أن تنكر أن الرئيس جمال عبد الناصر استدعى السفير الأمريكى فى ذلك الوقت ، ولفت نظر الحكومة الأمريكية الى مافى هذا الأمر من نوايا عدوانية .

وانما أتحذت الصحف الأمريكية تهاجم مصر ، وتكيل المديح لأسرائيل المسالمة المسكينة .

بل أخذت تطالب الحكومة الامريكية بضرورة التدخل لنع وصول الأسلحة إلى مصر خوفا على " العزيزة " إسرائيل .

ثم راحت بعد ذلك تطالب بعقـد اتفـاق بـين أمريكـا واسرائيل من الغول الذى سـيفتك بهـا وهـو مـصر . . والعجيب ان هذه الصحف كانت الـى ماقبـل عقـد صـفقة الأسلحة تفاخر بقوة اسرائيل ، وانهـا تـستطيع أن تهـزم الجيوش العربية ، مجتمعة ، وعلى راسها الجيش المصرى.

حكاية توازن القوى

كان هذا هو مسلك صحافة أمريكـا .. ولـم يكـن مـسلك الحكومة الأمريكية بأقل حماقة من مـسلك صـحافتها ، لأن الأمر كله كما قلت لك يابنى كان يسير حسب خطة مدبرة . . فانطلقت التصريحات الرسمية تتهم مصر وتهاجم مصر فـى كل اتجاه ، تحت ستار ماسموه بتوازن القوى فـى الـشرق الأوسط والتصريح الثلاثى الصادر فى سنة 1950.

ولقد كان هدف الحكومة الأمريكية وصحافتها مـن الهجـوم على مصر ، هو اثارة بلبلة وقلقلة وشن حرب أعصاب على مصر ، يكون من نتائجها أن تعدل مصر عن صفقة الأسلحة هذه ، وتعود فترتمى فى أحضان أمريكا ، أو ينقلب الوضـع فى مصر ، وتحدث ثورة يكون قادتها هـم عمـلاء أمريكـا وحلفاءها .

أى أن أمريكا لم تفكر فى أخطائها هى ، بل لجأت الى الهجوم على مصر لتصلح أخطاءها التى أرتكبتها فى حق

مصر فى السنوات الثلاث التى ماطلت وسوفت فيها حتى أنكشف أمرها .

سياسة اصلاح الخطأ

وتستطيع يا بنى أن تلخص سياسة أمريكا فى ذلك الوقت ، وفى هذا اليوم الذى آكتب لك فيه هذه الكلمات فىسنة1957 بأنها سياسة إصلاح الأخطاء بارتكاب اخطاء جديدة .

وفى يقينى يا بنى أن هذه السياسة مبعثها غرور متأصل فى نفس أولئك الذين يرسمون سياسة امريكا وعلـــى رأســـهم دالاس . وزيرخارجيتها.. فهم يعتقدون ان لأ شــىء يقــف امام أمريكا، باعتبارها ، أقوى وأغنى دولة فى العالم ، بعــد الحربين العالميتين . اللتين وقعتا فــى النــصف الأول مــن القرن العشرين ، وهم يؤمنون أن ما لا يدرك بالقوة ، يدرك بالرشوة والدولار والعكسى بالعكس ... وهذا منطق سياسة أمريكا اليوم.. وأمس... وغدا... الا اذا أراد الله أمرا . . .

ان قاموس السياسة الأمريكية على عكس ما كــان يتوقــع الناس بعد الحرب العالمية الثانية ، أقول لا يعرف قــاموس السياسة الأمريكية الخلق أو المبادىء وانما تستبتح ــ هذه السياسة ــ كل شىء فى سبيلالوصول إلى مصلحة أمريكــا ولا قية للخلق ولا للمبــادىء ولا لارادة الــشعوب اذا مــا تعارضت مع مصالح أمريكا .

رفضنا لمجرد الشبهة

فأمريكا ، تعلم تماما العلم اننا لسنا شـيوعيين ، واننـا نرفض السيطرة الأجنبية أيا كانـت وقـد رفـضنا لأمريكـا اتفاقيتى الأمن المتبادل ، ورأس المال ، لأننـا لا نريـد أن نستبدل نفوذ بريطانيا بنفوذ أمريكى وقلنـا ذلـك صـراحة لأمريكا .

وأمريكا تعلم أننا رفضنا الاغراء والآمال العراض عندما وجدنا شبهة لتدخل ، أو شبهة السيطرة الأجنية ، ولو فـى أقل صورة ، فلماذا تلجأ امريكا الى اتهامنا بكل هذه الأمـور وهى تعلم أن لها معنا تجربة رفضنا منها كل هذه الأمور ؟

ان المسألة واضحة ، فبدلأ من أن تعالج امريكا أخطاءها ، التى ارتكبتها في حق مصر فبل عقد صـفقة الأسـلحه ، اعتقدت انها ستصلح أخطاءها او تخفيها على الأقـل بهـذا الهجوم .

قصة الاتهامات

من أجل هذا بدات حكاية اتهام مصر بالـشيوعية تـارة وتارة اخرى بأنها اصبحت قاعدة للتسرب الشيوعى ، ومرة ثالثة بأنها دخلت فى نطاق الشيوعية الدولية .

وبدأت الأخطاء تتراكم وتصبح اخطاء مركبة

البترول

أما بريطانيا فقد اعتبرت عقد صفقة الأسلحة المصرية التشيكية ــ هى الأخرى ــ هزيمة نكراء للسياسة البريطانية فى الشرق الأوسط ، وهزيمة أيضا لمشاريع بريطانيا . وبريطانيا أشد حساسية فى هذا الأمر من أمريكا باعتبار أنها كانت تعتبر منطقة الشرق الاوسط منطقة نفوذ بريطانية لبريطانيا فيها مصالح حيوية أهمها البترول . هذا بخلاف إسرائيل وبخلاف عامل أخر اشد وطأة من كل ما سبق ، وهو أحتضار الأمبراطورية. .

ويهمنى أن أصور لك يا بنى بعض ما كان يختفى وراء هجوم الصحف البريطانية المسعور على مصر بعد عقد صفقة الأسلحة التشيكية ، فالصحافة البريطانية تشترك مع الصحافة الامريكية فى كل ماشرحته لك عن اسرائيل وسيطرة الصهيونية العالمية عليها هى الأخرى بطرق شتى ، ولقد كان موقف الصحافة البريطانية هو نفس موقف الصحافة الأمريكية فى كل ما يختص باسرائيل . حتى إن جريدة " التيمس " التى يطلقون عليها كلمة " الوقورة " لم تتورع عن أن تخرج باحصائية قبل عقد صفقة الأسلحة تنتهى فيها فى زهو وفخر الى أن جيش اسرائيل يستطيع ان يلحق الهزيمة النكراء بجيوش العرب جميعا ، ثم مالبثت هذه اللهجة أن تغيرت بعد عقد صفقة الأسلحة الى البكاء على اسرائيل المسكينة المسالمة ، والى حس الحكومة البريطانية على التدخل لحماية اسرائيل ضد مصر .-

ألا أن وراء حملة الصحف أمورا اخرى كما قلت لك يابنى .

العداوة بين رجلين

وحملة الصحافة البريطانية كانت موجودة فعلا قبل عقد صفقة الأسلحة بزمان طويل فى تلك الصحف واليك بعض الأسباب .

أولا– رئيس وزراء بريطانيا

ولا تعجب يا بنى أن يكون رئيس وزراء بريطانيا بشخصه وهو المستر ايدن سببا أساسيا فى حملة التضليل التى عزلت الحقائق عن الشعب البريطانى عن عمد ، وشوهتها فى أماكن كثيرة من العالم ، ولم تتضح الا بعد أن سسقط هذا الرجل وانهارت اعصابه .

لقد كان المستر ايدن يعتبر عمك جمال يابنى عدوا شخصيا له ، لمجرد أن عمك جمال حاكم وطنى لا يساوم ولا يخضع لاغراء او لتهديد.

فقد صادف أن كان ايدن هو رئيس الوزارة البريطانية يوم ان وقعت مصر مع بريطانيا اتفاقية الجلءا التى نسفها العدوان بعد ذلك ، ولكن مجرد توقيع هذه الاتفاقية وقتذاك من غير أن تحتفظ فيها بريطانيا لنفسها بحق السيادة على مصر ولو فى بنود سرية ، اثار الأستعماريين فى بريطانيا مما جعلهم يعتبرونها نصرا لعمك جمال على ايدن الذى لم يفلح فى جعل عمك جمال أدة من أدوات بريطانيا . ولقد استجاب أيدن لمثل هذه العقليات المتعفنة وبدا يحقد على عمك جمال .

تصورات حلف بغداد

وصادف ايضا أن المستر أيدن هذا قد تصور أنه يستطيع أن يبسط حماية بريطانيا على العرب بجرة قلم ، وانه يستطيع أن يضع مصر أمام الامر الواقع فتخضع بعد الجلاء . لما هو شر من الحماية والأحتلال وهو الاحلاف ، فأمر عميله الاول فى الشرق الاوسط السيد نورى السعيد بانشاء حلف بغداد وادخال العرب فيه جميعا ، ورتبوا الخطة ، وخرج الحلف الى الوجود ثم بادر بضم بريطانيا اليه ، ولكن مصر هاجمت هذا الحلف كمبدأ أولا ، وثانيا لما فيه من سيطرة يراد بسطها على العرب ، وثالثا لان من أهم أهدافه المطوية تصفية فلسطين العربية الى الابد لصالح اسرائيل .

وكانت النتيجة أن الحلف ولد ميتا ، حتى ان رئيس اركان حرب الإمبراطورية البريطانية حاول أن يغرى الأردن أو يهدده للأنضمام إلىهذا الحلف فى الوقت الذى كان يخضع فيه لسيطرة بريطانيا ويحصل على معونة من بريطانيا ولكن الشعب الأردنى ثار ورفض الأنضمام إلى الحلف ، بل وأكثر من ذلك طرد الجنرال جلوب الانجليزى الذى كان يحكم الأردن باسم بريطانيا منذ أن أنشئت .. واعتبر ايدن ان هذا االأمر من تدبير عمك جمال يا بنى فحقد عليه اكثر وأكثر .

قصة الكراهية والحقد

الى ان كانت صفقة الاسلحة سنة 1955 فكانت هذه هى قصة الكراهية والحقد فى نفس ايدن رئيس وزراء بريطانيا العظمى من أجل ذلك انطلقت الصحف البريطانية في الهجوم على مصر بتشجيع ورضا رئيس وزراء بريطانيا الذى كان يغذيها بالسموم والاكاذيب .

ثانيا ــ ظهور مصر كقوة فى المنطقة

فقد كانت بريطانيا الى ما قبل عقد صفقة الاسلحة هى المحتكر الوحيد لبيع السلاح للمنطقة ، وكان هذا يعنى أنها تستطيع أن تمنح ألقوة وتمنعها حسبما تشاء ووقتما تريد ، ويعنى أيضا ان أية قوى فى هذه المنطقة لن توجد إلا بارادة بريطاينا . فلما حطم عمك جمال يا بنى هذا الأحتكار وهذه السيطرة الأجنبية طاش صواب الكومة البريطانية فى لندن خاصة وان الشعوب العربية باركت هذا الاتجاه واندفعت تؤيده في حماس رائع يعبر عن عواطفها المكبوتة طوال سنين القهر والاستعمار ، تأتى بعد ذلك أسباب كثيرة أهمها.

ستار وراء امريكا

مصلح بريطانيا وهى تتمثل أساسا فى البترول .

تأثر موقف عملاء بريطانيا بعد أن انكشوا أمام الشعبب وبالتالى تأثر موقف بريطانيا تجاه هذه الشعوب وهى التى لاتريد الا الاستعمار وأمتصا الأرازق بغير تقديرلارادة الشعوب .الخ.. الخ . .

واستترت الحكومة البريطانية أيضا كما استترت الحكومه الامريكية خلف قناع التصريح الثلاثى الذى صدر فى سنة 1950 وحكاية توازن القوى فى الشرقرق الأوسط .

السبب ثوار الجزائر

أما فرنسا فهى تشترك يا بنى مع أمريكا ومع بريطانيا في كل هذه الاسباب مضافا اليها سبب اساسى هو مشكلة الجزائر فقد كانت فرنسا موتورة هى الاخرى من مصر بسبب التأييد الذى تقدمه مصر لثوار الجزائر العرب الذين يحاربون فى معركة الاستقلال والحرية ، وكان قائلهم يقول أن معركة الجزائر تحسم فى مصر وليس فى الجزائر ، وفرنسا كانت تجاهد عبثا لكى تحتفظ لنفسها بمقعد بين الدول الكبرى وتعيش على أحلام الماضى بعد أن أصبح الحاضر مر وعلقما ، فقد فقدت كل شىء حتى الشرف . ولم يبق لها إل الجزائرا التى هى باب الصحراء وباب افريقيا الوسطى ، وهى تظن إن قهر الشعوب هو الوسيلة المثلى للعيش فى الحياة كدولة من الدرجة الاولى .. يضاف الى

ذالك ما للصهيونية العالمية فى فرنسا من سيطرة تامة تكاد تفوق سيطرتها فى أمريكا وهى مضرب الأمثال ويـضاف إلى ذلك أيضا ان فرنسا هى ثالث الفرسان الذين وقعوا مـا يسمى بالتصريح الثلاثى وأكذوبة توازن القوى .

معالجة الأخطاء بالاخطاء

وهكذا بدأت المرحلة الرابعة يابنى بعـد عقـد صـفقة الاسلحة فى سبتمبر سنة 1955 بدايـة عنيفـة .. ولكـن الفرسان الثلاثة ، أخطأوا التقدير كما هو حالهم فى الحاضر والمستقبل يا بنى ، فبدلا من أن يثيروا حربا بـاردة علـى مصر بحملاتهم وهجماتهم فىالصحف والاذاعة وعلى لسان الرسميين أثاروا حربا باردة ولكن علـى شـعوبهم وعلـى أفحكارهم ، أما مصر فقد وقفت صفا واحدا خلف عمك جمال وأخذت تكشف للعرب وللعالم خداع هولاء المستعمرين وفى الوقت ذاته لم تضيع مصر لحظة واحدة فى القلق أو البلبلـة كما كانوا يريدون بل اخذت تتجه بقيادة عمك جمـال نحـو البناء والانشاء .

آمال مصر

وكان أهم مشروع تبنى عليه مصر أمالها هو مـشروع السد العالى الذى يكفل مستقبلا كريما ومستوى لائقـا مـن المعيشة لجماهير

الشعب بعد ان اهملت الكومات المتعاقبة فى أيام ما قبل الثورة كل تفكير فى امر مستقبل هذا الشعب وما يولد فيه من أجيال حتى وصلنا الى حالة خطيرة من هبوط مستوى المعيشة .

ولن أحدثك يابنى عن هذا المشروع فستراه بـــاذن الله حين تستطيع ان تقرأ هذه الكلمات . وستقرأ عنه الكتير فى المدرسة ولكننى اريد أن أحكى لك حكايته من زاوية أخـــرى تتعلق بهذا الحديث الذى كتبته لك .

فانه بعد أن عقدت مصر صـــفقة الاســـلحة وحطمـــت التحكم الذى كان مصدره بيع السلاح ، تلفتت أمريكا لتبحـــث عن طريق أخر تستطيع بواسطته أن تفرض سيطرتها علينا عن طريق المال والدولار .

وكان هو مشروع السد العالى...

اللطمة المذهلة

بدا واضحا اذن يا بنـــى أن عقـــد صـــفقة الاســـلحة المصرية التشيكية قد اصاب بريطانيا وامريكا بلطمة مذهلـــة .. فقد فقدت الدولتان آخر كارت مـــن كـــروت المـــساومة وفرض السيطرة .

و لقد ظل هجوم الصحافة الامريكية يشتد ويعنف بينما كان هجوم الصحافة البريطانية يتسم بالحذر والمرونة إلـــى ما بعد عقد صفقة الأسلحة بشهرين فانقلبت الآية ، إذ بـــدا هجوم الصحافة الامريكية يخف بينما اخذ هجـــوم الـــصحافة البريطانية يعلو ويشتد ..

وكانت هناك قضية لاتزال معلقة بيننا وبين أمريكا وبريطانيا هى قضية تمويل السد العالى .

حياة أو موت

وكنا قد طلبنا من البنك الدولى أن يقرضنا حسبما يقضى قانونه لكى نستطيع أن نبنى ذلك السد الذى يعتبـــر مـــسألة حياة أو موت بالنسبة لمستقبل الشعب المــصرى ، وبعــد مفاوضات طويلة ودراسة مستفيــضة مــن جانـــب البنـــك للمشروع ، وضع* ذلك البنك شروطه لأقراضـــنا بعــد أن رفض أول الامر وكانت هــذه الــشروط تتــضمن شـــرطين جوهرين اساسيين.

أما الأول : فـــهو أن تشترك امريكا مع البنـــك بنـــصف القرض .

ث الثانى: وهو الأهــم ، فهــو سلــسلة مـــن القيـــود والألتزامات تجعل من مدير البنك الدولى وزيرا لمالية مصر ومهيمنا على اقتصاد مصر .

الحلقة المفرغة

أما دور بريطانيا فى هذه القضية فلم يكن إلا رمزيا فقط ، إذ كانت ستشرك فقط بما قيمته حوالى الخمـــسة ملايـــين جنيه .

وهكذا عدنا يا بنى الى الحلقة المفرغة مرة أخرى فـــى قضية تمويل السد العالى بعد أن حطمناها فى قضية شـــراء

السلاح أو بمعنى آخر طردنا النفوذ الأمريكى والنفوذ البريطانى اللذين كانا يريدان السيطرة علينا بالتحكم فى بيع السلاح من الباب ، فوجدناهما يطلان لنا من الشباك فى شروط البنك الدولى لاقراضنا من أجل بناء السد العالى .

والبنك الدولى لم يكن الا " سيم " فى كال هذه المناورات ، فبرغم أنه بنك دولى وأننا أعضاء فيه لنا من الحقوق ما لبريطانيا وما لامريكا ، ألا أن أمريكا هى المساهم الاكبر فيه ، ومديره أمريكى : ولا بد أن يخضع فى أقل القليل لتوجيه أكبر المساهمين .

آمال وورود ورياحين

فيوم أن كانت السياسة الامريكية فى مصر تجتاز مرحلة . الآمال والورود والرياحين ، كان البنك الدولى يقبل علينا فى لهفة لانجاز ذلك المشروع الحيوى العظيم ، ويوم أن كانت السياسة الامريكية تلجأ الى المساومة المقنعة من أجل السيطرة علينا كان البنك الدولى يعرض عنا محتجا بمختلف العقبات التى تظهر له فجأة فتحيل اللهفة أعراضا، والآمال سرابا .

والعجيب ان امريكا ، أو المستر دالاس على الاصح ، يعتقد ان هذه المناورات تنطلى على الناس ، واننا سوف نفزع أليه آخر الامر لكى ينقذنا من الورطة فيبدأ فى أملاء الشروط .

ولكن على العكس من ذلك ، فقد رفضنا شـــرط البنـــك الدولى الخاص بالقيود و؟ اللتزامات ، أمـــا عـــن أشـــتراك أمريكا فى القرض فقد قلنا ان هذا يرجع إلى أمريكا نفـــسها عل شرط أن لا تكون هناك قيود أو ألتزامـــات جديـــدة مـــن أمريكا بعد أن رفضناها من البنك الدولى .

وقعنا فى المصيدة .

وهنا اعتقد المستر دالاس مصمم سياسة أمريكا يا بنى اننا وقعنا فى المصيدة ، ووضع خطته على أن يعوض فى قضية تمويل السد العالى كل ما خيل اليه أنه فقده فى يوم أن لطم على خديه ، لطمة صفقة الاسلحة المصرية التشيكية .

والمستر دالاس يا بنى كما وصفه صديق له فى كتاب نشرعلى الملاء ، المستر دالاس هذا مقامر ومغامر ، ولعل هذا يعود الى انه ورث هذه الصفات من نشأته فى ولاية تكساس بلد رعاة البقرالذين يعيشون على القمار والمغامرة .

فالمستر دالاس يعلم ان روسيا قد عرضت علينا رسميا معونة غير مشروطة لبناء السد العالى ، وهو يعلم أيضا ان روسيا قد ساعدتنا فى ابرام صفقة الإسلحة التى أصابت سياسته بضربة فى الصميم ، لذلك دبر خطته على أن يختار اللحظة المناسبة فيضرب ضربة ينتقم فيها من مصر ويكشف موقفها ، وفى الوقت نفسه يرد الأهانة الى روسيا بأشد مما أحس به من مهانة وفشل .

ولكى يجعل من ضربته حدثا عالميا ومفاجأة حاسمة فى تاريخ البشرية بدا المستر دالاس يلعب دوره على طريقة " الشجيع " فى روايات رعاة البقر حينما يكون واثقا من نفسه ومفتونا بقوته .

فبدلا من أن يبدو منفعلا أو متوتر الاعصاب ، بدأ يبتسم من جديد ، وبدأت الصحف الامريكية ــ كما قلت لك يابنى من قبل ــ تخفف من هجومها بالتدريج ، وما أن بدأت سنة 1956 إى بعد عقد صفقة الأسلحة ببضعة شهور حتى كان دالاس قد أقنع الناس بأنه قد شفى تماما من مضاعفات تلك الصفقة ، بل أكثر من ذلك ، فقد أعلن فى مؤتمر صحفى ان الاسلحة التى اشترتها مصر انما هى أسلحة قديمة وان الامر لا يستحق كل ما حدث من تهويل .

وعجبنا نحن هنا فى مصر يابنى ، فصدور مثل هذا الكلام عن مستر دالاس وهو الذى كان فى حالة هستيريا يوم إن عرف نبأ صفقة الاسلحة ، بل استمر على حالته لأسابيع بعد ذلك ، أقول كان صدور مثل هذا الكلام عن دالاس بعد سلوكه هذا مثار عجب ودهشة منا .

وتوالى العجب وتوالت الدهشة .

فلم يلبث المستر يوجين بلاك مدير البنك الدولى أن جاء الى مصر لكى يوكد عزم البنك الدولى من جديد على تمويل السد العالى ، بعد ان وعدت امريكا ، أو المستر دالاس على الاصح ، بأعطاء مصر نصف القرض على شكل معونة امريكية لمصر .

الرنيس المنتخب

وجاءت احتفالات الجلاء بعد ذلك فى يونيو سنة 1956 ، وسعدت مصر بأشهر ايامها يوم أن خرج من

الوادى الحبيب آخر جندى بريطانى بعد أربعة وسبعين عاما ، طوالا من الكفاح ، وبعد خمسة أيام من هذا اليوم هرعت مصر من أقصاها إلى أقصاها الى صناديق الانتخــاب لكــى تنصب جمال عبد الناصر رئيسا منتخبا لجمهورية مصر .

وجاء شهر يوليو من السنة نفسها ، والبلاء فى فــرح شامل بالجلاء وبالرجل الذى حقق هذا الجلاء .

لا اله إلا دالاس

وهنا أحس دالاس فى الطرف الآخر من العالم أن الوقت قد حان لكى يضرب ضربته ..

لقد أراد المغامر المقامر أن يثبت للعالم أنه يــستطيع أن يقلب إفراح الشعب المصرى المنتصر الى يــأس وقنــوط ، ويستطيع أيضا ان ينتزع منه الرجل الذى قاده الى النــصر تلو النصر .

اعتقد المقامر انه سيطيح بجمال عبــد الناصــر، وفــى الوقت نفسه سيكشف للعالم ان روسيا غير جادة فى عرضها لتمويل السد العالى ، وأن لا اله إلا دالاس صاحب العبقريـــة الفذة والدولارات ، وملك القمار والمغامرة .

واتصل دالاس بالرئيسى ايزنهاور وهو يلعب الجولف فى مزرعته وقال له : أنه سيسحب معوفة السد العالى .

ورد الرئيس ايزنهاور فى غفلة أن امض فى طريقك ووضع السماعة لكى يعود بسرعة الى الاستمتاع برياضته .

وفى الوقت نفسه كانت حكومة مصر قد زودت سفيرها فى واشنطن باعلان قبول مصر رسميا لمعونة أمريكا والبنك الدولى .

وبدلا من ان يطلب سفير مصر مقابلة دالاس ليعلنه بقرار مصر ، استدعى دالاس سفير مصر وأعلنه بقرار أمريكا أو على الاصح بقرار المستر دالاس وهو سحب المعونة .

وجلس المستر دالاس يفرك يديه فى نشوة هذا الظفر بعد أن أذاع بيانه الذى تضمن تحديا واستفزازا لمصر .

وكان هذا يوم 19 يوليو سنة 1956 .

وكان هذا. اليوم انتهاء تاريخ ، وبدء تاريخ جديد .

البيان الطائش

واصبحنا يوم .2 يوليو سنة 1956 ونحن فى دهشة وحنق شديدين .

فقد كان يستطيع المستر دالأس أن يسحب العرض الامريكى لمعونة السد العالى فى أية لظة يشاء ، ولم يكن لنا

أن نعترض او نثور لسبب بسيط هو أن المستر دالاس حـــر فى تكييف أموره وسياسته ، ولكن الذى أثار حنقنا كان ذلك البيان الطائش المريب الذى خرج به المـــستر دالاس علـــى العالم ليعلن أن سحبه لمعونة السد العالى أنما هو مبنى على أساس أن مصر بلد مفلس وان الحكومة الامريكية لا تحمل للشعب الا كل مودة وتقدير .

وقد صيغت عبارات هذا البيان بحيث تعلن فـــى وقاحـــة غريبة أن على الشعب المصرى أن يتخلص من جمال عبـــد الناصر، وعندئذ ستفتح امريكا خزائنها لكى تبنى السد العالى ، ولكى تقيم عشرات المشاريع الاخرى لمصر .

واعتقد دالاس – يا بنى– أنه قد ضرب بهذا البيـــان أكيـــر ضربة سياسية فى العصر الحديث ، ستنتهى بسقوط عمـــك جمال وتصفية الثورة والاتجاه التحررى فى مـــصر وفـــى جميع انحاء الأمة العربية ، وستنتهى كذلك بتوجيـــه لطمـــة قوية لروسيا التى تجرأت – فى نظره – فباعت لنا السلاح من غير قيد ولا شرط .

وجلس " العبقرى " دالاس فى واشنطن ينتظـــر فـــى زهـــو وخيلاء. تحقيق النتنائج التى أرادها بهذه الضربة .

وفى مصر جلس عمك جمال – يا بنى– يـــدرس فـــى هدوء عميق ، فلقد كان تحدى وزير الخارجية الامريكية قـــد بلغ اقصى حد بهذا التهجم على مصر ، وعلى عمـــك جمـــال بحيث أصبح من المحتم أن يكون الرد على هذا التحدى ردا

قويا مذهلا حتـــى يفيـــق دالاس وحلفـــاؤه مـــن غـــرورهم وكبريائهم وصغارهم .

والعجيب أن البنك الدولى ، أرسل خطابا الى وزيـــر ماليـــة مصر قبل أن يرتكب دالاس حماقته بعشرة ايام فقط أى فـــى شهر يوليو سنة 1956 يشيد فيه يـــسلامة مـــشروع الـــسد العالى وبسلامة اقتصاد مصر ، وبعزم البنك الـــدولى علـــى المضى فى أقراضنا لتنفيذ ذلك المـــشروع ، ولكـــن البنـــك الدولى برغم اعترافه فى هذا المستند الرسمى يوم 11 يوليو سنة 1956 بادر فأعلن يوم 20 يوليو ســـنة 1956 ســـحب معونته مستندا الى نفـــس الاســـباب التـــى أعلنهـــا وزيـــر الخارجية الامريكية .

وبريطانيا أيضا، وكانت ستشترك كما قلت لك يـــا بنـــى بمبلغ رمزى هو خعسة ملايين من الجنيهات ، بادرت هـــى الاخرى فأعلنت على لسان وزير خارجيتهـــا ســـحب هـــذه المعونة ايضا يوم 20 يوليو مستندة الـــى نفـــسى أســـباب المستر دالاس ، وزاد وزير خارجية بريطانيا على ذلـــك أن أخذ يتحدث أمام مجلس العموم فى غرور وخيلاء عن قيمـــة صداقة الغرب لمصر بما يفضح تشفيه وحقده وهـــو الـــذى حبسه الاحرار فى جزيرة البحرين كما يحـــبس الفـــأر فـــى المصيدة .

وهكذا أصبح واضحا ان الأمر مؤامرة من نـــسج دول الغرب الكبرى ، مؤامرة رسمت فى واشنطون ، وأســـتجابت لها لندن وسعدت بها باريس .

وكان على عمك جمال أن يرد كما قلت لك يـــا بنـــى ردا قويا مذهلا .

الفصل العاشر

- المرحلة الخامسة : مرحلة المؤمرة
- عمك جمال يرد رده المذهل
- ثورة الثلاثة الكبار
- فشل المتآمرين

المرحلة الخامسة
مرحلة المؤامرات

كان علىعمك جمال أن يرد كما قلت لك يا بنى .

كان عليه أن يرد هذا التحـــدى بتحـــد أشـــد ، وأوجـــع فأهداف المؤامرة واضحة كل الوضـــوح ، بـــل ان المـــستر دالاس صرح فى غـــرور امـــام لجنـــة الـــشئون الخارجيـــة للكونجرس الامريكى فى جلسة سرية قائلا : أنه من اللحظة التى يتخلص فيها الشعب المصرى من جمال عبد الناصـــر ، فان أمريكا ستتقدم فى الحال لتقديم المعونـــة الـــى الـــشمب المصرى .

ولم يكن اسقاط عمك جمال هو الهدف الأوحـــد لـــضربة دالاس ، بل أن الأهدأف الأخرى لهـــذه الضربة كانت اعمق وأبشع.

فأمريكا تريد أن تطيح بالثورة المصرية التى احتـــضنت التحرر والاستقلال ، ورفضت فى عزم وأصرار كـــل أشـــكال السيطرة الأجنبية وتحكم الدولى الكبرى .

وامريكا ايضا تريد ان تطيح بالثورة المصرية العربية . التى احتضنت القرمية العربية وتجاوب معهـــا العـــرب فـــى حماس وعزم فى كل أقطارهم وبكل قلوبهم وأرواحهم .

وأمريكا غاضبة على مصر لأنها قاومت حلف بغداد .

وأمريكا غاضبة من مصر لأنها ترفض المساومة علـــى حقوق فلسطين العربية وحقوق أهلها المشردين اللاجئين .

وأمريكا غاضبة على مصر لأنها اختطت لنفسها سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز.

وأمريكا غاضبة على مصر لأنها حطمت الطوق الحديدى واشترت السلاح ــ لتدعم جيشها ــ من الكتلـــة الــشرقية وأمريكا لا تريد للعرب أن يستيقظوا أو أن يتضامنوا خـــشية أن يلحق مصالحها الــضرر كمـــا تـــصور لهـــا خيالاتهـــا الاستعمارية البغيضة .

وأمريكأ تريد ان تفرض إسرائيل علـــى العـــرب فرضـــا شاءوا أو لم يشاءوا .

وانجلترا تريد ايضا هـــى الأخـــرى أن تطـــيح بـــالثورة المصرية لنفس الأسباب التى ذكرتها سابقا بالنسبة لأمريكا، فأمريكا هى زعيمة المعسكر الغربى وهى التـــى تمـــد هـــذا المعسكر بالغذاء والكساء ولكن بريطانيا كانت أشد حنقا على مصر من أمريكا بعد أن اجبرت على الجلاء عن أرض مصر ، وبعد إن تولى زمام الأمور فيها رجل مريض منهـــار هـــو المستر ايدن .

وكانت فرنسا هى الاخرى اشـــد حرصـــا مـــن أمريكـــا وبريطانيا على القضاء على الثورة المصرية فقد كانت تحلم فى يقظتها أن مستقبل الجزائر يقرر فى القاهرة وان الثورة

الجزائرية التى كان قد مضى عليها حوالى السنتين وقتــذاك ممكن أن تنتهى فى لحظة اذا ماقــضى علــى الثــورة فــى القاهرة .

وكما قلت لك يا بنى فان عمك جمال لا يقدم على خطوة الا إذا درسها دراسة مستفيضة وقدر الموقف تقديرا واعيــا شاملا دقيقا .

وحين جلس عمك جمال يا بنى لكى يضع تقدير الموقف الذى سيخرج منه بخطة الرد على تحدى المتآمرين الكبــار كان هادئا كعادته حينما يواجه أية مشكلة برغم أن المؤامرة تستهدف القضاء على حياة شعبنا لأجيــال طويلــة مقبلــة وبرغم ان القائمين بها دول عظمى تملك الــسلاح والقنابــل والاساطيل .

ان من عبقرية عمك جمال يا بنى أنه يبسط كل مــشكلة تواجهه ويعود بها الى أصلها .

والدول العظمى المتآمرة تريد عن طريق تجويع شــعبنا وفرض الحصارعليه أن تحطــم مقاومتــه فيــسجد راكعــا للسيطرة الأجنبية .

المسألة أذن ببساطة هى تجويع الشعب وأفقــاره لكــى يستسلم .

عمك جمال يرد رده المذهل

وتلفت عمك جمال من حوله يا بنى واستعرض تاريخ كفاح الشعب وآلامه وآماله .

وفى خلال استعراضه للاحداث وقف عند قناة السويس .

ان قناة السويس تمثل فى بلدنا الذى استقل وخرجت منه جنود الأحتلال قبل ذلك بشهر واحد فقط ، هذه القناة تمثل آخر معقل من معاقل الاستغلال الاجنبى .
وشركة قناة السويس تمثل أبشع نصب دولى فى القرن التاسع عشر ، شقتها هصر بسواعد عشرات الالوف من أبنائها الذين ماتوا وهم يحفرونها سخرة ، وأنفقت عليها من حر مالها ستة عشر مليونا من الجنيهات من مجموع ما صرف فى شقها وهو ثمانية عشر مليونا من الجنيهات بشهادة قنصل امريكا فى مصر وقتذاك .

ومع ذلك تستولى الشركة التى دفعت مليونين واستغلت عشرات الالوف من المصريين أقول تسستولى الشركة على عشرين مليونا من الجنيهات أرباحا كل عام . ولا تأخذ مصر التى دفعت حياة أبنائها مضافا اليها ستة عشر مليونا إلا رسما صوريا فقط لا يتجاوز المليون .

والقناة فى أرض مصر: تحت سيادة مصر وملك لمصر !

والاعجب من هذا أن الذى يستولى على هذه الارباح الصافية هم العصابة المتأمرة أمريكا وبريطانيا وفرنسا الذين يتآمرون اليوم على شعب مصر لتجويعه وافقاره وحرمانه حتى من الاستدانة من البنك الدولى بأبهظ الفوائد ، اذ كنا

سنقترض سبعين مليونـــا ، مـــن الجنيهـــات نردهـــا مائـــة وعشرين .

وهكذا أهتدى عمك جمال يا بنى إلى الحل الخالد وكـــان بسيطا كما قلت لك يا بنى .

فقناة السويس التى هى ملك لمصر يجب أن تعود الـــى مصران شركة قناة السويس شركة مـــصرية ومعطـــى لهـــا الامتياز من حكومة مصر، ولكنها لم تكن فعلا الا أخر معقل للاستغلال الاجنبى وموردا يدر الذهب على المتآمرين الـــذين يتأمرون اليوم لتجويع شعب مصر صاحب القناة .
ولم يضيع عمك جمال لحظة واحدة بعد أن. انتهى الـــى هذا القرار .

ففى يوم 26 يوليو سنة 1956 اى بعد الحماقـــة التـــى ارتكبها المستر دالاس وحلفاؤه بأسبوع واحد وقـــف عمـــك جمال فى الاسكندرية واعلن فى خطابه السنوى تأميم شركة قناة السويس وفى الوقت نفسه كانت الـــسلطات المـــصرية تتسلم المرفق .

وأصبح يوم 26 يوليو الذى خرج فيه الملك الفاسد مـــن بلدنا يوما خالدا بعد ان اضيف الى امجاده هذا المجد الرائع .

اننى مهما وصفت لن أستطيع أن أصف لك يا بنى شعور الشعب المصرى حينما أعلن عمك جمال هذا القرار الخالد .

لقد كان الشعب فى فرح مذهل خاصة أن تـأميم شـركة قناة السويس كان أملا يجرى فى كل خاطر. .

وأمر آخر يا بنى .

لقد احس كل مواطن باعلان هذا القرار أن كرامتـه قـد حفظت وأن كبرياءه قد رضى واطمأن بعد أن ظل المتآمرون الكبار طيلة اسبوع مضى ــ بين سحب المعونـة وأعـلان التآميم ــ يتيهون فى صحافتهم وابواقهم غرورا واستعلاء .

ولم يكن الشعب المصرى وحده هو الـذى أحـس هـذا الاحساس وانما احست به كل الشعوب العربية تمامـا كمـا حدث يوم أن عقدت صفقة الأسلحة ، ولكن يوم القناة كـان أخلد وأروع لأنه كما قلت لك يا بنى كان نهاية تاريخ وبـدء تاريخ .

ثورة الثلاثة الكبار

الا ان التآمر لم ينته بل على العكسى من ذلـك ثـارت ثائرة المتآمرين الكبار .

وصممت بريطانيا وفرنسا اول الامـر علـى أن يقومـا بالهجوم على مصر فورا ، وسافر المستر دالاس إلى لنـدن لكى يهدىء من روعهما وينصحهما بأن يحلا الأزمة علـى طريقة الحل الذى طبق فى أيران ضد الـدكتور مـصدق أى بالتآمر فى الداخل لنسف الثورة المصرية ، وبالتالى الغـاء

قرار التأميم وعودة الأمور الى سابق عهـدها كمـا حـدث لشركة البترول فى ايرأن .

ولما لم تجد بريطانيا وفرنسا نفسيهما فى حالة تـسمح لهما بالهجوم العاجل كما كانتا تريدان فـان الثلاثـة الكبـار يخرجون من اجتماعهم بقرار هو عقد مـؤتمر فـى لنـدن وكانت اكبر مهزلة هى أنهم جعلوا من أنفسهم أولياء لأمـر هذا العالم فعينوا الدوله التى تحضره وجعلوا أكثر من ثمانين فى المائة منها من تلك الدول التى تسير فى فلكهم وتخـضع لسيطرتهم .

والعجيب أن الثلاثة الكبار وجهوا الدعوة إلى مصر فـــى صورة انذار يحمل القرارات التى يجب أن يخرج بها المؤتمر من قبل أن ينعقد ، كما وجهوا نفس هذه الدعوة الـــى بقيـــة الدول التى ستحضر هذا المؤتمر ورفضت الدول الحرة التقيد بأى شىء ــ من قبل ــ بعد أن وافقت على الدعوة .

أما هنا فى مصر فاننا بعد دراسة طويلـــة لهـــذا الامـــر واستجابة لما ارتآه عمك جمال اتفقنا على أن يسافر عمـــك جمال بنفسه إلى لندن لكى يواجه المتآمرين الكبـــار وجهـــا لوجه أملا فى الا نترك طريقا لإمكان ايجاد حـــل ســـلمى ولا نطرقه .

ولكن لم تمضى أربع وعشرون ساعة على اتخاذنا هـــذا القرار حتى خرج المستر أيدن رئيس وزراء بريطانيا الرجل المريض الخائن بحديث فى التليفزيون خرج فيه علـــى كـــل ادب وعرف ولياقة ، وكال لمصر ولعمـــك جمـــال الـــشتائم والتهم .

واصبح واضحا أن لا أمل فى ان يعرد هؤلاء المتآمرون الى رشدهم وأنا زيارة عمك جمال للندن لن تفهم عل معناها الحقيقى .

واعلن عمك جمال فى مؤتمر صحفى عقد فى البرلمان رفض مصر لحضور المؤتمر ، وفند دعوى المتآمرين الكبار

واعلن عن عقد مؤتمر يضم جميع الدول التى تستخدم القناة يعقد فى القاهرة .

فشل المتآمرين

وعقد مؤتمر لندن الاول وأنتهى الى قرار أيدته الـــدول التابعة للمتآرين ورفضته الدول الحرة ، وارســـلو رنـــيس وزراء استراليا إلى مصر لكى يبلغ عمك جمال بهذا القـــرار ولكى يهدد عمك جمال .

واحتقر عمك جمال التهديد .

وعاد رئيس وزراء استراليا الـــذى كـــان يفخـــر بأنـــه استعمارى ، عاد الى لندن وإنعقد مؤتمر لندن الثـــانى وقـــد سميته فى مقالاتى لتى كنت اكتبهـــا لجريـــدة الجمهوريـــة وقتذاك " بالمؤتمر الحزين "

لقد اجتمع هذا المؤتمر وانفض من غير ان يتخذ قرار .

الى ان كان اقتراح جمعية المنتفعين .

وهذا الاقتراح من بنات أفكار بطل قصتنا هـــذا المـــستر دالاس .

المقامر المغامر، همس بـــه فـــى أذن الرجـــل الحـــائر المريض ايدن رئيس وزراء بريطانيا .

وستقرأ يا بنى تفاصيل هذه القفـــرة فتعـــرف أن هـــذا الاقتراح فشل كما فشلت كل خطط المـــستر دالاس وحلفائــــه المتآمرين .

وستقرأ يا بنى أيضا عن مؤامرتين حـــاول المتـــآمرؤن تنفيذهما عند انعقاد مؤتمر لندن بقصد تعطيل الملاحـــة فـــى قناة السويس وكيف أنهما فشلتا أيضا كما . فشلت من قبـــل ومن بعد كل خطط التآمر والعدوان .

إلى أن ذهب المتآمرون يشكوننا فى مجلس الأمن .

وبعد مناقشات وقفت فيها روســـيا ويوغوســـلأفيا الـــى جانبنا اتخذ مجلسى الامن قراره المشهور بالمبادىء الـــستة التى تحل على أساسها المشكلة حلا سلميا تحـــت اشـــراف سكرتير الامم المتحدة ، وكان قرار مجلس الأمـــن فـــى 13 أكتوبر سنة 1956 حدد يوم 29 أكتوبر لاجتمـــاع منـــدوبى مصر وبريطاينا وفرنسا فى جينـــف للتفـــاوض مـــن أجـــل الوصول الى ذلك الحل .

ولكن

كان مقدرا ألا نذهب الى جنيف لأن المتـــآمرين الكبـــار كانوا قد أبرموا أمرا بليل ، وهجمت إسرائيل يوم 29 أكتوبر سنة 1956 على مصر كمقدمة للمؤامرة الدنيئة الكبرى التى لم يعرف التاريخ لنذلتها وخستها مثيلا إلى اليوم .

الفصل الحادى عشر

- المرحلة السادسة : الاذلال بالقوة .
- الإنذار بالإنذار والبادى أظلم .
- المرحلة السابعة : الفضيحة الكبرى .
- المرحلة الثامنة الأصرار على المؤامرة .

المرحلة السادسة الاذلال بالقوة

كان ايدن قد أصطحب معه تلميذه الفاشل وزير خارجيته الى باريس يوم 16 أكتوبر سنة 1956 حيث اجتمعا هناك برئيس وزراء فرنسا ووزير خارجيتها اجتماعا طويلا تقررت فيه المؤامرة وتقرر فيه دور إسرائيل ودور الدولتين الغادرتين ، ولم يكن مداد القرار الذى اتخذ قبل ذلك فى مجلس الامن بثلاثة أيام ، وارتضته فرنسا وبريطانيا قد جف بعد .

وبينما نحن نعد العدة للاجهاز على اسرائيل بعد ان بدأت العدوان اذ بانذار هو الأول من نوعه فى تاريخ البشرية فى وقاحته وغروره يأتى الينا من فرنسا وبريطانيا .

ورفضنا الانذار

واحس عمك جمال ــ يا بنى ــ بالمؤامرة فى سرعة ويقظة وأتخذ قراره التاريخى بسحب قواتنا من سيناء لكى تنضم الى الشعب فى المعركة الفاصلة ضد بريطانيا وفرنسا .

ان هذا القرار ــ يا بنى ــ كان اول ضربة سددها عمك جمال الى المتامرين لاحباط المؤامرة ، وسيظل الى الابد عملا فذا من أعمال عمك جمال التى أراد الله ان يحقق بها عل يديه عزتنا وكرامتنا ، وأن يحقق بها على يديه أيضا استقلالنا ونصرة القوميه العربية التى كان يراد لها أن تقبر الى الأبد .

ودخلت بريطانيا وفرنسا الحرب ، وستجد يا بنى وصــفا تفصيليا لكل هذا فى كتاب آخر لى الا أن ما يهمنى أن أقوله لك هو أن مرحلة الاذلال بالقوة هذه التى أرادوا فيها اذلالنا قد انقلبت عليهم يوم 6 نوفمبر سنة 1956 حينمــا وضــح للعالم أن مدينة صغيرة هى بور سعيد المصرية قد صــمدت لجيوش وأساطيل بريطانيا وفرنسا ومعدات حلف الاطلنطــى ولم تستسلم .

إنذر بولجانين

الإنذار بالإنذار والبادى أظلم

وأرسسلت روسـيا إلـى بريطانيـا وفرنـسا بإنـذارها المشهور بعد أن حاولت أن تشرك معها امريكا فـى وقـف العدوان ولكن هذه رفضت وتخاذلت .

لقد صيغ الإنذار الروسى فى عبارات ارسلت الرعب فى مفاصل رئيس وزراء بريطانيا ورئـيس وزراء مـا يـسمى فرنسا .

استمع معى يا بنى الى كلمـات هـذا الانـذار القويـة المروعة.

قال بولجانين فى الانذار الى المتآمرين :

" اننا مصممون كل التـصميم علـى اسـتخدام القـوة للقضاء على العدوان وانهاء الحرب فى مصر .

وقال أيضا فى انذاره لايدن :

" ان بريطانيا يجب ان تفكر فى موقف يجعلها معرضـة للهجوم من دولة أقوى منها كثيرا تستطيع ان تشن هجوما عليها لا بالسفن ولا بالطائرت ولكن بالصواريخ الموجهة .

وأنك لتعد استخدام الصواريخ الموجهة ضـد بريطانيا عملا همجيا.. ولكن ما القرق بين مثل هذا الهجـوم علـى بريطانيا ، والهجوم الذى تشنه بريطاينا وفرنسا على مـصر وهى غير مستعدة ! ؟

عندئذ انهار ايدن وانهار زميله فى فرنسا ، وبدلا من ان يذلوا مصر بالقوة أذلهم الله أبشع اذلال بالقوة ايضا .

قوة الصو ار يخ

وانهار ايدن وانتهت مرحلة الاذلال التى كان مغروضا انها أذلال لنا إلى الأذلال ولكن لبريطانيا وفرنسا !

المرحلة السابعة

مرحلة الفضيحة الكبرى

حاولت بريطانيا وفرنسا التهرب من تنفيذ قرارات هيئـة الأمم المتحدة ، التى اتخذت باجماع يكاد انا يكـون تامـا ، وتنص على انسحاب المعتدين من أرض مصر. .

وهنا ظهرت أمريكا مرة أخرى .

فقد كان المستر ايزنهاور رئيس أمريكا يخوض معركـة تجديد الانتخابات واختار ايدن ومولیه هذا الوقت بالذات لكى يجهزوا على مصر ، فالمستر ايزنهاور مشغول بانتخابـات الرئاسة وهو فى حاجة الى اصوات اليهود حلفاء بريطانيـا وفرنسا فى العدوان .

عل مصر ولكن المستر أيزنهاور وقف ــ يا بنى ــ وقفة لا بد لى أن أسجلها له بالشكر والتقدير برغم ما فات وبرغم أن هذه الوقفة لم تلبث بعد أتسسحاب بريطانيا وفرنسا أن تغيرت وانطمست بعد ظهور المستر دالاس مرة ثانية فى الميدان. .

فى هذه المرحلة انفضح المتآمرون وأخذ كل واحد منهم يحمل المسئولية لأخيه .

أما أيدن رئيس وزراء بريطانيا فقد انهار وخارت قواه وأعطى أجازة .

وفى مجلس العموم اليريطانى كشفت المناقشات عن فضائح تزكم الأنوف عما ارتكبته الحكومة البريطانية ورفضت هذه الحكومة أجراء تحقيق لتحديد أدوار المتآمرين واستنكر نواب العمال المؤامرة أبشع استنكار .

وفى فرنسا أعلنوا رسميا أن هدف العدوان لم يكن يقتصرعلى القضاء على مصر وزعيمها فقط ، وانما كان أيضا تصفية الحرب فى الجزائر واعادة سيطرة الغرب على البلاد العربية بأكملها والقضاء نهائيا على القومية العربية .

وفى إسرائيل ربيبة أمريكا وقاعدة الغرب للعدوان والاستعمار انفضحت النوايا وكانت أول الأمر القضاء على اوكار الفدائيين ثم أصبحت بعد تدخل بريطانيا وفرنسا وانسحبنا من سيناء أصبحت الفكرة الاستيلاء على سيناء واضافتها الى إسرائيل ثمنا لها على العدوان ، ثم تضاءلت

الفكرة الى قطاع غزة ، ثم انتهت وتحطمت الاطماع بعد أن وقف الراى العام العالمى كله يستنكر تلك المؤامرة الدنيئة .

وظل عمك جمال يا بنى فى كل هذا رابط الجأش صلب الارادة لا يساوم ولا تزلزله أو تنال منه الخطوب والاحداث .

إلى أن كان يوم 23 ديسمبر سنة 1956 وأنتهى انسحاب بريطانيا وفرنسا من بور سعيد ، وبقيت إسرائيل تحاول المراوغة والافادة من العدوان .

المرحلة الثامنة

الأصرار على المؤامرة

قلت لك يا بنى ان المستر أيزنهاور رئيس أمريكا وقف وقفة يستحق عليها الشكر والتقدير ونسيت أن اقول لك ان المغامر دالاس لم يكن الى جانبه فى ذلك الوقت كما هى عادته دائما ، وانما كان فى المستشفى وكانت تجرى له عملية .

حين خرج المستر دالاس من المستشفى بدأ يرسم من جديد سياسة أمريكا كعادته .

والستر دالاس يا بنى مغرم بالتقليعات الأمريكانية ، ومعتد بنفسه وبخطته إلى حد السفه والجهل والغرور !

فلقد فكر المستر دالاس فى أن يضع خطة بهلوانية يستطيع بها ان يحقق الاهداف التى لم تستطع برطانيا وفرنسا بجيوشهما أن تحققاها ولكن من غير حرب !

والمستر دالاس كما قلت لك يا بنـــى مفتـــون بقدرتـــه وخطته وقد أطلق على خطته هذه اسم " العزل " .

كان يقصد بالعزل أن يتم عزل مصر عن العـــالم أول ا، وعن شقيقاتها العربيات ثانيا، وبعد ذلك يمكن تنفيذ خطـــة " الغزو من الداخل " التى اتبعت مع الدكتور مصدق فى أيران ونجحت .

أما العزل من الخارج فقد بدأـــه المـــستر دالاس عقـــب خروجه

من المستشفى مباشرة على شكل ضغط سياسى وحصار اقتصادى وتجميد لأموال مصر ومنعها من الحصول علـــى حاجاتها من أسواق العالم .

وقذ. نفذ المستر دالاس الضغط السياسى بسلـــسلة مـــن التصريحات أصدرها هو وأوعـــز ببعـــضها الـــى المـــستر ايزنهاور فأصدرصا هو الاخر يشيدان فيهـــا بحق اســـرائيل فى المرورفى قناة السويس وحق إسرائيل فى المـــرور فـــى خليج العقبة ة ومحاولة تدويل قطاع غـــزة أو ضـــمه الـــى إسرائيل الى أخر ما صدر من تصريحات في ذلك الوقت عن المسئولين فى أمريكا ، وكان هدف المستر دالاس هو تضليل العالم وعزل قضيتنا عن الرأى العام العالمى .

وقد نفذ المستر دالاس الحصار الاقتـــصادى فـــرفض أن يبيعنا القمح يوم إن كنا بعد العدوان على وشـــك أن نجـــوع لنفاد مخزون القمح ، ورفض أن يبيعنا البترول بعد العدوان

أيضا وبعد أن حطمت اسرائيل بتأييد حليفتيه بريطانيا وفرنسا وبالسلاح الذى أعطاه لها مستر دالاس ــ آبارنا فى سيناء فى الوقت الذى أعلنت فيه أمريكا رسميا عن معونات وأغذية تقدم مجانا لاسرائيل المعتدية .

وأوعز المستز دالاس اف إلى الأسواق الغربية لكى لا تشترى
منا أو تبيعنا شيئا .

وجمد المستر.. دالاس رصيدنا من الدولارات فىأمريكا .

واما الغزو من الداخل فقد بدأه المستر دالاس أيضا عقب خروجه من المستشفى بأن أوعز الى عملائه من ملوك ورؤساء الرعب بإن يستعدو للدخول فى المعركة ضد مصر .

بدأت خطة الغزو من الداخل بزيارة الملك سعود لأمريكا فى يناير سنة 1957 أى بعد مضى بضعة أيام من انسحاب بريطانيا وفرنسا.

والمستر دالاس لا يضيع االوقت يا بنى .

هناك جلس الملك سعود الى المستر دالاس ورجاله وتلقى منهم الأوامر بالخطة الجديدة ، لقد اختاروه لكى يمثل الدور الجديد ، اختاروه لكى يكون الزعيم الأوحد للمنطقة وعليه أن ينفذ ما يطلب منه لكى تؤكد له أمريكا ، زعامته على العرب ، وعلى المسلمين .

كان عليه أن يحسن علاقاته بحكـــام العـــراق عمـــلاء أمريكا فصدع للأمر وسافر الى العراق .

وكان عليه أن يسقط الحكم الوطنى فـــى الاردن ويـــأتى بعملاء أمريكا فى الحكم .

وكان عليه ان يتصل بالسيد كميل شـــمعون - رئـــيس- لبنان لينسق معه الخطط ويدبر فى بيروت المؤامرات .

وقد نفذ هذا ايضا بأمانة واخلاص !

وكان باقى الخطة هو أن يتكون من هؤلاء الحلفاء حزام جديد يعزل مصر وسورية اللتين رفضتا أن تسيرا فى فلـــك أمريكا، ثم تدبر المؤامرات فى بيروت ضد ســـورية وضـــد مصر لاتمام خطة الغزو من الداخل .

وقد نفذ هذا أيضا بأمانة واخلاص ، ودفع الملك ســـعود نصف مليون جنيه لمؤامرة المراغى التى كان هدفها اغتيال عمك جمال ، وفشلت هذه المؤامرة على يد بطل مصرى هو الضابط عصام الدين خليل .

وفى سورية دفع الملك سعود مرة ثانية مليــونين مــن الجنيهات لكى تحبط الوحدة بين مصر وسورية ، ولكى يغتال عمك جمال أيضا ، وفشلت هذه المؤامرة كما فشلت سابقتها على يـــد البطل السورى عبد الحميد السراج .

وبدلا من أن تعزل مصر ، عزل الملوك والرؤساء العرب ــ من عملاء أمريكا ــ عن شعوبهم ، وأصبح من المحتم أن ينقذ المستر دالاس عملاءه الذين ظهر أنه أتى بهم لينقذوه ، وينقذوا سمعة أمريكا من الحضيض .

واليوم وأنا أكتب لك يا بنى هذه الكلمات يحاول المــستر دالاس أن يوهمنا ويوهم العالم أنه قد غير سياســته نحــو مصر وسورية اللتين أصبحتا بلدا واحدا فى الوقــت الــذى يوعز فيه لعملائه حكام لبنان بالتقدم إلــى مجلــس الامــن بشكوى ضد الجمهورية العربية المتحدة فى محاولة لانقاذهم من غضبة شعوبهم ! .

ان تطوراً يحدث اليوم يا بنى فى بلدنا وفى أمتنا سأفرد له الأجزاء المقبلة من هذه الــذكريات التــى اكتبهــا لــك ، فأحداث السنة الواحدة اليوم تفوق ما كان يحدث فى مئــات السنين ، ولا يزال عمك جمال يا بنى كما قلت لك هو المحور الذى يدور من حوله كفاحنا وتتبلور فيه آمالنا وأمل الأجيال المقبلة فى الحياة والكرامة والسلام .

من أجل ذلك فأنا أختم هذا الجــزء مــن ذكريــاتى لــك بحديثى الذى توجهت به إلى الله يوم أن عاد عمك جمــال

من رحلته الموفقة الى روسيا ففيه تلخيص لهذه الحقبة التى حف ثتك عنها فى اجمال س.

الحبيب العائد

وجمال يارب من صنعك الرائع ، وابداعك القاهر أنه عبدك المؤمن بك ، المتوكل عليك ، المسير بالهامك ، الباعث فى شعبه وقومه رسالة الحق والعزة والسلام .

ولقد نصرتنا به يارب فى مواطن كثيرة .

نصرتنا به يوم أن ضاقت علينا أرضنا ، وحبس الملك الخليع هو وشركاؤه علينا انفاسنا ، فشاءت قدرتك ان ينتصر الشعب وان يملى ارارته كفاحا ونضالا وخلقا وابتكارا ، وتضحية وفداء وصلابة واصرارا من خلال جمال ، وعلى يد جمال ، وبيقن منك يارب وهبته لجمال .

ونصرتنا به يارب يوم ان خضنا مع بريطانيا معركة الجلاء .

كانت جيوش بريطانيا تدنس بأقدامها ارض وادينا الطاهر الحبيب ، كان ترابنا يصرخ من وقع أقدامهم ، وكان هواؤنا يتلوى من بخر انفاسهم ، وكانت سماؤنا تتململ وهى تظل عوراتهمم .

لعنهم شعبنا ، واحتقرهم نيلنا ، ومع ذلك ظلوا زهــاء السبعين عاما يعبثون بالحرمات ويغتصبون الارض والارزاق ، ويسفهون احلام الناس ويخيفون أيضا الملك والافيا مــن الزعماء .

وأردت يارب، فخرج اليهم جمال أن احملــوا عــصاحم على الكاهل وارحلوا او اقبلوها حربا لاتعــرف الــنقص أو الخداع .

فاوض جمال فلم يساوم ، و قاد المعركة فلــم يهــادن ، وحين أنجلى الغبار ، كان الوطن قد تطهر من رجس اولئــك الانجاس من خلال جمال وعلى يد جمال وبيقين منك يــارب وهبته لجمال .

ونصرتنا يارب فى معركة احتكار السلاح .

كانت بريطانيا ايضا تطبق على هذا البلد شرائع عجيبــة فى التحكم والسيطرة والاحتكار .

فلقد كانت بريطانيا تحتقر حكام هذا البلد ، وهم الــذين ارتضوا ان يسيروا فى فلكها ، ويأتمروا بأمرها وهذه هــى سنة الكون فالذى يسلم قياد نفسه لغيره لن يكون جزاؤه من هذا الغير الا المهانة لانه اذل نفسه بالحضوع له ..

وظنت بريطانيا انها تستطيع أن تفرض على هذا البلـــد أحتلالا وسيطرة عن طريق بيع السلاح بعــد ان فقــد ذلـــك الاحتلال وتلك السيطرة وجودهما بجلاء الجنود والمعدات ..

وحذت أمريكا حذو بريطانيا فى ســوء القــصد وخبــث الطباع .

وجرى قدرك ياربى فدخل الشعب كله المعركـــة بقيـــادة جمال ليخرج منها ــ وهو الشعب الاغزل الصغير ــ ظـــافراً بعد أن لقن الكبار درسا فى الأخلاق .

تعلمت امريكا ان هناك مـــن يؤمنـــون بـــالقيم العليـــا ، وأنهالاتباع ولا تشترى حتى بملايين الدولارات .

وتعلمت بريطانيا ان شعبا صغيرا شـــريفا يـــستطيع ان يهدم غرور السيطرة ونفاق الهيبة وكذب الوقار .

وعرف العالم كله أن شابا أسمر أسمه جمال ومن ورائه شعب اعزل الا من الايمان ، عرف العالم أنهما قد اســـتطاعا ان يحطما قيود السيطرة التقليدية للكمار بل لقنا هـــم أيـــضا أعمق درس فى الكرامة علهم يقلعون عما يملا عقولهم من تفاهة وصغار .

وكانت هذه المعركة أيضا بقيادة جمال ، صـــنع خطتهـــا جمال ووضع تكتيكها جمال ، على هدى يقين منـــك يـــا رب وهبته جمال .

ونصرتنا به يارب فى معركة قناتنا :
لقد ارادوا بنا كيداً فكانوا هم الأخسرون .

فحين صور الوهم لكبيرهم أنه يستطيع أن يذل كرامتنا ، نحن الشعب ، بالتجويع وبالايقاع بيننا وبين زعينما جمال ، بادر جمال فرد الصفعة صفعتين وبدلا من أن نجثو علـــى ركبتنا أرتفعت هامتنا فوق أرضنا واحتفظنا برشـــدنا ، فـــى

الوقت الذى طاشت فيه عقول الكبار وأكلهم حقدهم حتى أن نجما معطرا من دهاة ساستهم سقط صريعا وخارت قواه .

وجاء العدوان على صمورة مؤامرة دنيئة وإنذار قذر فى معناه
وفى مبناه وسيظل يحكى للأجيال قصة اللؤم والغدر والغرور .

وفجأة انكشف اللؤم وانهزم الغدر وتحطم الغرور وفـاح فى العالم كله نتن أولئك الذين كانوا ينصبون مـن أنفـسهم حراسا على المبادىء فداسـوها ، وحمـاة للحقـوق وهـم ناهبوها .

وبعد العدوانا جاءت معركة العزل والتجويع والحصار ، فلم تختلف عما سبقها من معارك الا فى ان ابطالا جددا من ملوك ورؤساء ا لعرب قـد دخلوهـا الـى جانـب امريكـا وبريطانيا وما يسمى بفرنسا .

ويشاء الله ان تفشل أمريكا كما فشلت حليفاتها ، وينهزم البغى
ويتحطم الطغيان .
ويشاه الله أيضا أن ينكشف أمر اولئك الملوك والرؤساء عل صورة تبعث على الرثاء والاشفاق وهم الـذين كـانوا يوقنون ان جمالا قد شطب اسمه فى واشـنطن ونـسوا ان الذى يكتب ويشطب هو رب السماء الذى صـنعهم وصـنع

جمال ، وهو الذى اورثهم الخيبة بعد ان أشركوا بقدرتـــه ، ووهب جمال الحكمة ، وهو المؤمن بعزته ووحدانيته .

وجمال يا رب من صنعك الرائع وابداعك القــاهر، انـــه عبدك المؤمن بك المتوكل عليك المسير بالهامك الباعث فـــى شعبه وقومه رسالة الحق والعزة والسلام .

ونصر اليوم يا رب هو أروع ما وهبتنا من أنتصارات .

لقد وهبتنا ، يارب ، الصداقة... أشهى ثمرة من ثمرات هذه الحياة.

فلطالما مددنا أيدينا بالــصداقة للجميـــع فـــى حمـــاس وأخلاص ، وكنا نحزن حينما تمتد الينا أياد وهى ترتدى قفاز الغرور أو قناع السيطرة ظنا منها اننا لا نـــرى بأعيننـــا أو نحس بوجداننا .

وقد رفضنا مصافحة هذه الأيدى حتى تتطهر مـــن هـــذا القفاز ومن ذلك القناع .

الى ان كانت أول يد شريفة تمتد إلينا وتخـــوض معنـــا معاركنا فى حماسة واخلاص .

رأيناها يوم كنا نحارب معركة احتكار الـــسلاح للـــتحكم وفرض السيطرة .

امتدت الينا هذه اليد بالسلاح من غير قيد ولا شرط وبلا تحكم أو سيطرة ، وانما بصداقة وتجارة شـــريفة وأحتـــرام

متبادل وتقديرلظروفنا فاق فى كل معناه كـل أخـوة وكـل صداقة .

وأمتدت الينا هذه اليد أيضا بالتأييد يوم أن عـادت لنـا قناتنا.

وامتدت الينا هذه اليد أيضا بالتأييد يوم أن تآمر الكبـار علينا فى مجلس الامن فكان " الفيتو " الروسى هو اللطمـة التى جعلتهم يفيقون من غشسيتهم لكى يعترفوا بعد ذلك فـى أيامنا هذه بعودة الحق الى أصحابه .

وامتدت الينا هذه اليد بالتأييد الجبار الـساحق يـوم أن خرج على بريطانيا وفرنسا ذلك الانذار المـشهور فانهـار غرور المعطر ايدن فجاة وجثا على ركبتيه وانهارت قـوى عصابة مونمارتر التى كانت تحكم فرنسا .

ياألهى .. أننى اذكر ذلك الانذار اليوم كما يـذكره كـل عربى ، فلا نملك الا احتقار الغرور ، والرثاء للمغرورين .

وامتدت الينا هذه اليد فى معركـة الـضغط والتجويـع فأرسلت لنا سنابل القمح ومراكب الزيت لكى يأكـل الـشعب ويطهو خبزه وطعامه ويدفىء برده ويبرىء آلامه .

وامتدت الينا هذه اليد فى معركة الحشود عـل اقليمنـا الشمالى فبا التهديد بالخسران وانحسر الغرور مرة اخـرى وأنهزم الباطل وانهارت خطة العدوان .

وامتدت الينا هذه اليد مرة أخرى لكى ترفع فـــى وطننـــا الأبنية وتدور

الآلات ، ولكى تعمل أجهزة الكشف والتنقيـــب وتخـــرج الثروات وتدفق المياه من الـــسدود والخزانـــات ، فيرتـــوى الزرع ، ويسعد الأهل في ظل كرامـــة محفوظـــة ، وجريـــة مصانة ، وأستقلال مشيد ، وأمل متزايد ، ومستقبل مشرق.

.

أعرفتها ... انها يد الشعب السوفييتى الصديق .

فبارك لنا يا رب في هذه اليد النظيفة المخلصة .

وبارك لنا يا رب فى هذه الصداقة الشريفة التى دعمهـــا الشعب السوفيتى بحبه لجمال ، فنحن لا نملك الا أن نبـــادل هؤلاء الاخوة حبا بحب واعجابا باعجاب وصداقة بـــصداقة نفخر بها على مر الأيام .

جمال .. أيها الحبيب العائد .. أهلا بـــك رائـــدا ورمـــزا وزعيما .

أهلا بك فى أهلك يا أخا العرب ومونل أملهم .

أهلا بك فى أهلك. يا رسول الخير والحق والسلام .

اهلا بك فى أهلك يا صديق الأحرار ومناط رجائهم .

وجمال يارب من صنعك الرائع وابداعك القاهر ، انـــه عبدك المؤمن بك ، المتوكل عليــك ، المــسير بالـهامــك ، الباعث فى شعبه وقومه رسالة الحق والعزة والسلام .

فهرس